

القوس العذراء

محمود محمد شاكر

إلى صديق لا تبلى مودته:
أما بعد، فأني لم أكن أتوقع يومئذ أن ألقاك. وإذا كنت قد
أوتيت حياء يغلبك عند البغته على لسانك، حتى يعوزك (1) ما
تقول، فقد أوتيت أنا ضرباً ثرثاراً من الحياء، يُطلق لساني
أحياناً عند البغته، بما لا أحب أن أقول، وبما لا أدري كيف جاء،
ولم قيل! كنت خليفاً يومئذ أن أقول غير ما قلت، ولكنني
وجدت شيئاً منك ينسرب (2) في نفسي فيثيرها، حتى يدور
حديثي كله على إتقان الأعمال التي يتاح للمرء أن يزاولها - في
لمحة خاطفة من الدهر، تُسميها نحن الناس: العُمْر!! ياله من
عُزور! بيد أن هذا الحديث أبى إلا أن ينقلب عائداً معي في
الطريق، يُساورني، ويُصاحِبني، ويؤنس وخشتي، ويسر إليَّ
بوسوسة خفية من أحاديثه التي لا تتشابه، والتي لا تنأهني
والتي هي أيضاً لا تُمل. وإذا كانت ثرثرة حيائي قد صكت
مسامعك ببعض عُنفي وصرامتي، فعسى أن يبعث في نفسك
بعض الرضى، ما أرويه لك من بقايا تلك الأحاديث التي رافقتني
منذ فارقتك إلى أن استقرت بي الدار، ثم طارت عني إلى
حيث يطير كل فكر، وغابت حيث يغيب!
الإنسان خلق عجيب!! كل حي، بل كل شيء مخلوق، يسير
على نهج (3) لا يحب لا يختل، يؤيده هدي صادق لا يتبدل. ومهما
تباينت مسالكه في حياته، وتنوعت أعماله في حياة معيشته،
فالنهج في كل درب من دروبها هو هو لا يتغير والهدي في كل
شأن من شؤونها هو هو لا يتخلف (4).
تولد الذرة (5) من التمال، وتنمو، وتبدأ سيرتها في الحياة،
وتعمل فيها عملها الجد، وتفرغ من حق وجودها، ثم تقضي
نحبها (6) وتموت. هكذا مُد كانت الأرض وكانت التمال: لا
تتحول عن نهج، ولا تمرق (7) من هدي. وتاريخ أحداثها ميلاداً في
معمعة الحياة، كتاريخ أعرق أسلافها هلاكاً في حومة الفناء. لا

1 () أعوزه الأمر يعوزه: إذا اشتد عليه وعسر، واحتاج إليه فلم يقدر عليه.

2 () ينسرب: يجري سائلاً متتابعاً لا يكاد يحسه.

3 () النهج: الطريق المستقيم الواضح البين. واللاحب: الطريق الواسع
الأملس، لا يعوقك في مسيرك فيه شيء. والهدي: السيرة المستقيمة
المؤدية إلى غاية لا تضل عنها.

4 () لا يتخلف: لا ينقطع عنها فيتأخر، ويأتي في غير موعده ومكانه.

5 () الذرة: النملة الصغيرة الحمراء. التمال (جمع نملة).

6 () تقضي نحبها: تفرغ من عملها، وتبلغ مدة أجلها.

7 () تمرق: تخرقه وتخرج منه ضالة على وجهها.

هي تُحَدِّثُ ⁽⁸⁾ لنفسها تَهْجاً لم يكن، ولا هي تبتدعُ لوارثها هَدْياً لم يتقدَّم.

فَسَلْ كُلَّ حَيٍّ : كيف تعملُ؟ ولمَ تعملُ؟ وَمَنِ الَّذِي عَلَّمَكَ وَهَذَاكَ؟ وَمَنِ الْإِمَامُ الَّذِي سَنَّ لَكَ الطَّرِيقَ ⁽⁹⁾؟ وَبِأَيِّ عِبْقَرِيَّةٍ يَأْتِي إِبْدَاعُكَ؟ وَلِمَ كَانَ عَمَلُكَ نَسَقاً ⁽¹⁰⁾ مُنْقَاداً لا يَتَغَيَّرُ؟ وَكَيْفَ كَانَتْ مَهَارُتُكَ ثَرَاتاً ⁽¹¹⁾ مُؤَبَّداً لا يَتَبَدَّلُ؟ وَحَدُّكَ طَبْعاً رَاسِخاً لَا يَتَحَوَّلُ؟ وَلِمَ صَارَتْ سُنَّةُ ⁽¹²⁾ الْأَوَائِلِ مِنْكُمْ لِرَآمٍ عَلَى الْأَوَاخِرِ؟ وَمِنْهَا جَ ⁽¹³⁾ الْغَابِرِينَ شَرَكاً لِلْوَارِثِينَ! بَلْ كَيْفَ أَخْطَأَ الْآخِرُ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَدْرِكَ عَلَى الْأَوَّلِ؟ وَالْخَلْفُ أَنْ يُتَافِسَ صَنْعَةُ السَّلَفِ؟ وَعَجَباً إِذَنْ! كَيْفَ صَارَ كُلُّ عَمَلٍ تَعْمَلُهُ مُثَقَّنًا، وَأَنْتَ لَمْ تَجْهَدْ فِي إِتْقَانِهِ؟ وَأَنْى بَلَغْتَ فِيهِ الْغَايَةَ، وَأَنْتَ مَسْلُوبٌ كُلُّ تَدْبِيرٍ وَمَشِيئَةٍ؟ وَمَا أَنْتَ وَعَمَلُكَ؟ أَتَحِبُّهُ وَتَأْلُفُهُ؟ أَمْ تَشْنُوهُ ⁽¹⁴⁾ وَتَسَاءُمُهُ؟ أَتُخَامِرُكَ نَشْوَةُ الْإِعْجَابِ؟ أَيْدَعْتَ فِيهِ؟ أَمْ تَتَنَابُؤُكَ لَوْعَةُ الْحُزْنِ إِذْ أَصَابَهُ مَا يُثْلِفُهُ أَوْ يُوْذِيهِ؟ أَلَمْ تَسْأَلْ نَفْسَكَ قَطُّ : فِيمَ أَعْمَلُ؟ وَلِمَ خُلِقْتُ؟ وَفِيمَ أَعِيشُ؟

وَأَنَا عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّكَ لَنْ تَسْمَعَ جَوَاباً إِلَّا الصَّمْتَ الْمُسْتَنْكَرَ، وَالذَّهُولَ الْمُعْرَضَ، وَالصَّمَمَ الْمُسْتَخِفَّ الَّذِي لَا يَغْبَأُ.

* * *

إِلَّا الْإِنْسَانُ!! إِلَّا الْإِنْسَانُ!!
لَيْتَ شِغْرِي كَيْفَ كَانَ مَدْرَجُ ⁽¹⁵⁾ أَوَّلِهِ عَلَى أُمِّهِ الْأَرْضِ؟ وَأَيُّ هَدْيٍ كَانَ لَقَرَطِهِ فِي مَطْلَعِ الْفَجْرِ؟
أَنَّهُ كَكُلِّ حَيٍّ، لَمْ يُخْلَقْ سُدًى ⁽¹⁶⁾ وَلَمْ يُتْرَكْ هَمَلًا. سَلَكَ لَهُ

() تحدث: تبتدع طريقاً مخالفاً لسنة خلقها. 8

() سن الطريق: بينه ووطأه مستقيماً إلى قصد معروف. 9

() نسقاً: أي نظاماً متتابعاً متواتراً على سواء السبيل. منقاداً: سلساً مفضياً إلى نهايته. 10

() التراث: الإرث المورث، والمؤبد: الخالد منذ أبد الأبدان. 11

() السنة: الطريقة والسيرة اللازمة. 12

() المنهاج: المسلك الواضح. الغابر: الماضي. والشرك: جادة الطريق لاتخفى معالمها، لظهور آثار السائرين فيها، فالسائر كأنه يهتدي فيها ويستقيم اضطراراً. 13

() تشنؤه: تجده قبيحاً شنيعاً فتبغضه، تخامرك: تخالط نفسك فتعطي على حسن تمييزك، كما تفعل الخمر بالعقول. 14

() مدرج أوله: ديب آبائه الأولين عليها. درج الصبي: دب على الأرض ومشي مشياً ضعيفاً. والفرط: السابق المتقدم. 15

() سدى: مهملًا غير مأمور ولا منهى ولا مسدد. الهمل: الضال المتروك بلا 16

رُبُّهُ النَّهْجَ الْأَوَّلَ (17) حَتَّى يَتَكَاثَّرَ، وَأَتَاهُ الْهَدْيُ الْقَدِيمَ حَتَّى يَسْتَحْكِمَ، وَسَدَّدَ يَدَيْهِ حَتَّى يَشْتَدَّ، وَأَنَارَ بِصِيرَتِهِ حَتَّى يَسْتَكْمَلَ، وَأَنْبَطَ (18) فِيهِ ذَخَائِرُ الْفِطْرَةِ حَتَّى يَسْتَجِرَّ، وَقَجَّرَ فِيهِ سَرَائِرَ الْإِتْقَانِ حَتَّى يَسْوَدَ وَيَتَمَلَّكَ، وَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ حَتَّى يَسْتَفْهَمَ، وَكَرَّمَهُ بِالْفَتْحِ حَتَّى يَتَغَلَّبَ.

فَلَمَّا ثَبَتَ عَلَيْهَا وَتَأَيَّدَ (19)، وَتَأَثَّلَ فِيهَا وَعَمَرَ، تَظَلَّرَ إِلَى مَعْرُوفِهَا فَاعْتَبَرَ، وَهَجَمَ عَلَى مَجْهُولِهَا فَاسْتَنَكَّرَ، فَكَأَنَّهُ مِنْ يَوْمِئِذٍ حَادٌ (20) عَنِ النَّهْجِ الَّذِي لَا يَخْتَلُّ، وَمَرَّقَ مِنَ الْهَدْيِ الَّذِي لَا يَتَبَدَّلُ.

ابْتُلِيَ مِنْ يَوْمِئِذٍ فْتَمَّرَسَ (21)، وَأُسْلِمَ لِمَشِيئَتِهِ فَتَحَيَّرَ. جَارَ وَعَدَّلَ، فَعَرَفَ وَجَرَّبَ. أَخْطَأَ وَأَصَابَ، فَفَكَّرَ وَتَدَبَّرَ. نَزَعَ (22) إِلَى النَّهْجِ الْأَوَّلِ، فَأَخْفَقَ وَأَدْرَكَ. تَأَقَّى إِلَى الْهَدْيِ الْقَدِيمِ، فَأَعْطِيَ وَحُرِّمَ. احْتَفَرَ (23) ذَخَائِرَ الْفِطْرَةِ، فَأكَّدَتْ عَلَيْهِ تَارَةً وَتَبَعَتْ. التَّمَسَّ شَوَارِدَ الْإِتْقَانِ، فَتَدَثَّ (24) عَلَيْهِ مَرَّةً وَاسْتَقَادَتْ. وَإِذَا كُلُّ صُنْعٍ يَتَقَاضَاهُ حَقٌّ إِحْسَانِهِ، وَكُلُّ عَمَلٍ يَحْنُ بِهِ إِلَى قَرَارَةٍ إِتْقَانِهِ. فَعِنْدَئِذٍ حَاكَ الشُّكُّ فِي صَدْرِ الْآخِيقِ، حَتَّى قَدَحَ فِي تَمَامِ صُنْعِ السَّابِقِ، فَاسْتَدْرَكَ عَلَيْهِ. وَقَلِقَ الْوَارِثُ، حَتَّى خَافَ تَقْصِيرَ الْذَاهِبِ، فَاسْتَنَكَفَ الْإِذْعَانَ إِلَيْهِ. فَكَذَلِكَ جَاشَتْ نَفْسُهُ (25)، حَتَّى انْدَفَقَتْ صُبَابَةٌ مِنْهَا فِيمَا يَعْمَلُ، وَتَصَرَّرَ قَلْبُهُ، حَتَّى تَرَكَ مِيسَمَهُ (26) فِيمَا أَنْشَأَ فَتَدَلَّهَ بِصُنْعِ يَدَيْهِ، لِأَنَّهُ اسْتَوْدَعَهُ طَائِفَةً مِنْ نَفْسِهِ،

بيان يهديه أو يحكمه.

(1) النهج الأول، والهدي القديم هو الفطرة التي فطر الله عليها آدم وولده قبل اختلافهم وضلالهم، ونزول التكليف، وبعثة الأنبياء.

(2) أنبط: استخرج الماء من بطن الأرض. الذخائر (جمع ذخيرة) وهو ما تخبرته فأخفيته ودفنته عن العيون. يستجِر: ينشق ويتسع وبصير كالبحر لا ينقطع ماؤه. السرائر (جمع سريرة): وهو ما كان مكتوماً كالسر، لا يعرف حتى يعلنه. والفتح: ما انفتح بعد استغلاق.

(3) تأيَّد: صار ذا أيد وقوة وتمكن. تأثَّل: تقادم عهده وثبت أصله. عمر: عاش وبقي زماناً طويلاً.

(4) حاد: مال عنه وعدل إلى غيره. مرق: خرقة وخرج إلى ضلال المسالك.

(5) تمرس: احتك بالشئ فأثر فيه. أسلم: ترك مخذولاً بلا هداية.

(6) نزع: حن واشتاق.

(7) احتفر: بذل الجهد في الحفر. أكدى حافر البئر: إذا حفر فبلغ الصخور، فقطع الحفر خيبة وياساً.

(8) ندت: نفرت هاربة واستصعبت. استقادت: خضعت وأعطته المقادة.

(9) جاشت نفسه: فارت وارتفعت. والصبابة: بقية الماء التي تصب.

(10) الميسم: اثر الوسم بالنار، تدله: ذهب عقله من الحب والهوى

وَقَتِينَ بِمَا اسْتَجَادَ (27) مِنْهُ، لِأَنَّهُ أَفْتَى فِيهِ ضِرَاماً مِنْ قُلُوبِهِ. وَإِذَا هُوَ يَسْتَخِفُّ الزَّهْوَ (28) بِمَا حَارَ مِنْهُ وَمَلَكَ، وَيُضْنِيهِ الْأَسَى عَلَيْهِ إِذَا ضَاعَ أَوْ هَلَكَ.

هَذَا هُوَ الْإِنْسَانُ وَعَمَلُهُ. فَإِذَا دَبَّتْ بَيْنَهُمَا جَفْوَةٌ تَحْتُلُ (29) النَّفْسَ حَتَّى تَمَلَّ وَتَسَامَ، أَوْ عَدَتْ إِلَيْهِمَا (30) تَبْوَةٌ تُرَاوِدُ الْقَلْبَ حَتَّى يَمِيلَ وَيُعْرِضَ، انْطَمَسَتْ عِنْدَيْهِ أَعْلَامُ (31) النَّهْجِ الْأَوَّلِ، وَرَكَدَتْ بَوَارِقُ (32) الْهَدْيِ الْمُتَقَادِمِ، وَبَقِيَ الْإِنْسَانُ وَحِيداً مَلُوماً مُحْسوراً لَا يَزَالُ يَسْأَلُ نَفْسَهُ: فِيمَ أَعْمَلُ؟ وَلِمَ خُلِقْتُ؟ وَفِيمَ أَعِيشُ؟ فَمَا يَكُونُ جَوَابُهُ إِلَّا حَيْرَةٌ لَا تَهْدَأُ، وَلَهيباً لَا يَطْفَأُ، وَظُلَاماً لَا يَنْقِشِعُ.

* * *

بَلْ حَسْبِي وَحُسْبُكَ. فَلَقَدْ خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ لِي: إِنَّمَا أَنْتَ تَحَدِّثُنِي عَنِ الْفَنِّ، - فَهَذِهِ صِفَةُ أَهْلِهِ - لَا عَنِ الْعَمَلِ، فَلَيْسَ هَذَا مِنْ نَعْتِهِ! وَكَأَنِّي بِكَ قَدْ قُلْتُ: إِنَّ الْفَنِّ تَرْفٌ مُسْتَحَدَثٌ، أَمَّا الْعَمَلُ فَشِقَاءٌ مُتَقَادِمٌ. هَذَا مِمَّا تَعَجَّلَهُ الْإِنْسَانُ وَعَانَاهُ لِقَضَاءِ حَاجَتِهِ، وَذَاكَ مِمَّا تَأَنَّى فِيهِ وَصَافَاهُ (33) لِلْإِسْتِمْتَاعِ بِلَذَّتِهِ. وَالْإِنْسَانُ إِذَا جَوَّدَ الْعَمَلَ، فَمُنْتَهَى هَمُّهُ أَنْ يَجْعَلَهُ عَلَى قَضَاءِ مَآرِبِهِ أَعْوَنَ، أَوْ يَكُونَ لَهُ فِي أَسْبَابِ مَعِيشَتِهِ أَنْجَحَ وَأَرْبَحَ. أَمَّا الْفَنُّ، فَتَمَرَّةٌ لَغِيرِ شَجَرَتِهِ، يَسْقِيهَا مَتَانِقُ (34) مَنْ يَنَابِيعُ ثَرَّةٍ فِي وُجْدَانِهِ، وَيَنْضَجُهَا مَشْغُوفٌ بِلَاعِجٍ مِنْ وَجْدِهِ وَافْتِنَانِهِ، فِي غَيْرِ مَخَافَةٍ مَرْهُوبَةٍ، وَلَا مَنَفْعَةٍ مَجْلُوبَةٍ، فَذَاكَ إِذَنْ بِطَبِيعَتِهِ مُسْتَهِلِكٌ

() استجاد: وجد لذة جودته وحسنه. 27

() الزهو: التيه والفخر والعظمة. 28

() ختله: خدعه على حين غفلة. 29

() عدت إليه: أسرعته إليه على حين بغتة. والنبوة: القلق الذي يمنع الاطمئنان. 30

() أعلام (جمع علم): وهو المنار الذي ينصب في الطرق لهداية السارين. 31

() ركد البرق: سكن وميضه. والبوارق (جمع بارقة): وهي السحابة ذات البرق. 32

() صافاه: أخلص له الحب، وأعطاه صفو مودته وهمه. 33

() المتأنق: الذي يعمل الشيء بتجويد يأتي فيه بالعجب، حباً لما يعمل وإعجاباً به. ثرة: غزيرة الماء. لاعج: محرق يستعر في القلب ويترك فيه أثراً. 34

مُمتَّهِن⁽³⁵⁾، وهذا لحرمة نَشَأَتِهِ مَذْخُورٌ⁽³⁶⁾ مُكْرَمٌ.
 وَأَقُولُ: بَلْ أَنْتَ تَحْدِثُنِي عَنِ الْإِنْسَانِ وَقَدْ فَسَقَ⁽³⁷⁾ عَنِ تِلَادِ
 فَطْرَتِهِ، وَاسْتَغَوَاهُ⁽³⁸⁾ الشَّيْخُ حَتَّى انْسَلَخَ مِنْ رِكَازِ جَبَلَتِهِ. غَرَّهُ
 مَا أُوتِيَ مِنَ التَّدْبِيرِ، فَاقْتَحَمَ عَلَى غَيْبِ مُدَبَّرٍ، يَغْتَسِفُهُ بِسَفَاهَةِ
 جُرْأَتِهِ. وَاسْتَخَفَّهُ مَا أَعَيْنَ بِهِ مِنَ الْمَشْيِئَةِ، فَهَجَمَ عَلَى خَيْرِ
 مَبْذُولٍ، يَسْتَكْثِرُ مِنْهُ بِضَرَاوَةٍ⁽³⁹⁾ تَهْمَتِهِ. فَانْبَتَتْ مِنْ يَوْمئِذٍ فِي
 قَلَاةٍ مَطْمُوسَةٍ بِلَا دَلِيلٍ، يَظُلُّ يَكْدَحُ فِيهَا كَذْحًا حَتَّى يُنَادَى
 لِلرَّحِيلِ!

جَاءَ مُبَسَّرًا لَشَيْءٍ خُلِقَ لَهُ، فَظَلَمَهُ حَقُّهُ حَتَّى عَاضِلَ⁽⁴⁰⁾
 بِأَمْرِهِ فَتَعَسَّرَ، وَهُدِيَ مَسَدًّا إِلَى غَايَةٍ، فَغَفِلَ عَنْهَا حَتَّى تَبَدَّدَ
 خَطْوُهُ وَاخْتَلَّ. وَلَوْ دَانَ الْإِنْسَانُ بِالطَّاعَةِ لِطَفْرَتِهِ الْمَكْنُونَةِ فِيهِ
 مِنْدُ وُلْدٍ، لَأَفْضَى إِلَى خَبْنِهَا⁽⁴¹⁾ التَّلِيدِ إِذَا مَا اسْتَوَى نَبْتُهُ
 وَاسْتَحْصَدَ. وَلِصَارَ كُلُّ عَمَلٍ يَغْتَمِلُهُ⁽⁴²⁾، تَدْرِيبًا لِمَا اسْتَعَصَى مِنْهُ
 حَتَّى يَلِينَ وَيُنْقَادَ، وَتَهْذِيبًا لِمَا تَرَكَمَ فِيهِ حَتَّى يَرِفَ⁽⁴³⁾ وَيَتَوَهَّجَ.
 فَإِذَا دَرَبَ عَلَيْهِ وَصَبَرَ، أَزَالَ الشَّرَّ عَنْ تَبَعِ مُنْبِثِهِ، فَإِذَا أَلَحَّ وَلَمْ
 يَمَلْ، أَنْشَقَّتْ فَطْرَتُهُ عَنْ فَيْضٍ مُتَدَفِّقٍ. وَيَوْمئِذٍ يُسْفَرُ⁽⁴⁴⁾ لَعَيْنِيهِ
 مَدَبُ التَّهْجِ الْأَوَّلِ، بَعْدَ دُرُوسِهِ وَعِغَائِهِ، وَيَسْتَشْشِرِي فِي بَصِيرَتِهِ
 وَمِيزُ الْهَدْيِ الْمُتَقَارِمِ، بَعْدَ رَكَدَتِهِ وَخَفَائِهِ. وَإِذَا كُلُّ عَمَلٍ يَفْصُمُ

() ممتَّهِن: مبتذل. 35

() مذخور: يتخذ المرء ذخيرة يصطفيها ويضن بها. 36

() فسق: خرج منها إلى الضلال. والتلاد: القديم الموروث الذي يولد معك. 37

() استغواه: طلب غوايته وضلاله. وانسلخ: نزع نفسه منه. والركاز: أصله،
 قطع الذهب والفضة المركوزة المدفونة في باطن الأرض. والجلة: الطبيعة
 الراسخة التي يبنى عليها الخلق. يعتسفه: يركب طريقه بلا روية ولاهداية ولا
 أناة. 38

() الضراوة: اعتياد الشيء حتى لا يكاد المرء يصبر عنه. والنهمة: الشهوة
 التي تسوق النفس فلا تكاد تنتهي. انبت: أتعب دابته في السير حتى
 انقطعت بلا رجعة. والفلاة: الصحراء المنقطعة لا ماء بها ولا أنيس.
 مطموسة: دارسة لا أثر فيها. 39

() عضل: ضاق فلم يدخل ولم يخرج. 40

() الخبء: المخبوء. التلید: القديم الموروث. استوى: بلغ غاية نمائه
 واعتدل. واستحصد: حان له أن يؤتي حصاده. 41

() يعتمله: يجاهد في عمله. 42

() يرف: يبرق ويتلألأ. 43

() يسفر: يشرق ويبين ويتوضح، والمدب: موضع دبيب الأقدام. والدروس:
 ذهاب الآثار وامحائها. والعفاء: تراكم التراب الذي يطمس الآثار. استشرى
 البرق: تتابع لمعانه. الوميض: لمعان البرق في نواحي الغيم. يفصم: ينفصل
 عنه دون أن ينقطع السبب بينه وبين عمله. 44

عَنْهُ مُتَّقًا، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَجْهَدْ فِي إِتْقَانِهِ، وَإِذَا هُوَ مُشْرِفٌ فِيهِ عَلَى
الْغَايَةِ، وَكَأَنَّهُ مَسْلُوبٌ كُلَّ تَدْبِيرٍ وَمَشِيئَةٍ، وَلَكِنَّهُ لَا يَقْصُمُ عَنْهُ
حِينَ يَفْصِمُ، إِلَّا مَطْوِيًّا عَلَى حُشَاشَةٍ⁽⁴⁵⁾ مِنْ سِرِّ نَفْسِهِ وَحَيَاتِهِ،
مَوْسُومًا بِلَوْعَةٍ مُتَضَرِّمَةٍ، عَلَى صَبْوَةٍ⁽⁴⁶⁾ قَنِيتٍ فِي عِشْرَتِهِ
وَمُعَانَاتِهِ.

فَالْعَمَلُ كَمَا تَرَى، هُوَ فِي إِرْثٍ⁽⁴⁷⁾ طَبِيعَتِهِ فَرٌّ مُتَمَكِّنٌ،
وَالْإِنْسَانُ بِسَلِيْقَةٍ⁽⁴⁸⁾ فِطْرَتِهِ فَتَّانٌ مُعْرِقٌ.
* * *

وَإِنِّي لَمُحَدِّثُكَ الْآنَ عَنْ رَجُلٍ مِنْ غُرُضِ الْبَشَرِ⁽⁴⁹⁾، يَتَعَاشِ
بِكَدِّ يَدَيْهِ، صَابِرٌ⁽⁵⁰⁾ الْفَاقَةَ عَامِيْنٌ، يَعْمَلُ عَمَلًا يُفْلِتُ نَفْسًا مِنْ
الْغِنَى إِلَيْهِ، أَغْوَاهُ ثَرَاءُ يَبْهَرُهُ، فَمَا كَادَ يُسَلِّمُهُ لِلْبَيْعِ حَتَّى بَكَى
عَلَيْهِ.

لَمْ أَعْرِفْهُ، وَلَكِنْ حَدَّثَنِي عَنْهُ رَجُلٌ مِثْلُهُ عَمَلُهُ الْبَيَانُ، ذَاكَ
فِطْرَتُهُ فِي يَدَيْهِ، وَهَذَا فِطْرَتُهُ فِي اللِّسَانِ.
* * *

هَذَا عَامِرٌ أَخُو الْخُضْرِ : تَوَجَّسَتْ⁽⁵¹⁾ بِهِ الْوَحْشُ مِنْ عِرْفَانِهَا
شِدَّةَ نِقْمَتِهِ، جَاءَتْ ظَامِئَةً فِي بَيْضَةِ الصَّيْفِ⁽⁵²⁾، فَرَاغَهَا مَجْتَمُهُ
فِي قُتْرَتِهِ. قَلِيلُ التَّلَادِ، غَيْرَ قَوْسٍ أَوْ أَسْهُمٍ، خَفِيَ الْمَهَادُ، غَيْرَ
مُفْلَةٍ تَتَضَرَّمُ. تَبَيَّنَتْ لَمَحَ عَيْنِيهِ، فَاَنْقَلَبَتْ عَنِ شَرِيعَةِ الْمَاءِ
هَارِبَةً، ذَكَرَتْ نِكَايَةَ مَرْمَاهُ، فَآثَرَتْ مِيتَةَ الظَّمَا عَلَى فَتْكَ
الْأَسْهُمِ الصَّائِبَةِ.

وَمَا عَامِرٌ وَقَوْسَهُ؟!

1 - قَدَعَ الشَّمَاخَ يُبْنِيكَ عَنْ قَوَاسِيهَا الْبَائِسِ فِي حَيْثُ أَتَاهَا:

2 - أَيْنَ كَانَتْ فِي صَمِيرِ الْغَيْبِ مِنْ غِيلٍ⁽⁵³⁾ نَمَاهَا؟

-
- () الحشاشة: روح القلب، ورمق حياة النفس. 45
() الصبوة: الحنين الداعي إلى الميل مع الهوى. 46
() الإرث: الأصل الموروث. 47
() السليقة: الطبيعة التي لا تحتاج إلى تعلم. معرق: أصيل، له عروق ممتدة إلى أصوله. 48
() عرض البشر: غمارهم وكثرتهم، بلا تحديد أو تعيين. 49
() صابر: تكلف معها الصبر على عنت ومشقة. نفساً: قليلاً ينفس عنه. 50
() توجست: تسمعت إلى صوته الخفي على خوف. 51
() بيضة الصيف شدة حره. مجثمه: جثومه في مكمنه لا يتحرك. والقترة: 52
حفرة الصائد يكمن فيها. قليل التلاد: لا مال له موروث. والمهاد: الموضع
الذي يمهده لنفسه. شريعة الماء: الموضع الذي ينحدر إلى الماء
() الغيل: الشجر الكثير الملتف. نماها: رفعها وسواها وانتسبت إليه 53

- 3 - كَيْفَ شَقِيتُ عَيْنُهُ الْحَجَبَ إِلَيْهَا، فَاجْتَبَاهَا⁽⁵⁴⁾؟
- 4 - كَيْفَ بَنَعَلُ⁽⁵⁵⁾ إِلَيْهَا فِي حَشَا عَيْصٍ وَقَاهَا؟
- 5 - كَيْفَ أَنْحَى⁽⁵⁶⁾ نَحْوَهَا مِبرَاتُهُ، حَتَّى اخْتَلَاهَا؟
- 6 - كَيْفَ قَرَّرْتُ فِي يَدَيْهِ، وَأَطْمَأْنَنْتُ لِقَتَاهَا؟
- 7 - كَيْفَ يَسْتَوْدِعُهَا الشَّمْسَ غَامِينَ.. تَرَاهُ وَيَرَاهَا؟
- 8 - كَيْفَ ذَاقَ الْبُؤْسَ.. حَتَّى شَرِبْتُ مَاءَ لِحَاهَا⁽⁵⁷⁾؟
- 9 - كَيْفَ نَاجْتُهُ.. وَنَاجَاهَا.. فَلَأَنْتُ.. فَلَوَاهَا؟
- 10 - كَيْفَ سَوَّاهَا.. وَسَوَّاهَا.. وَسَوَّاهَا فَقَامْتُ.. فَقَصَّاهَا؟
- 11 - كَيْفَ أَعْطَيْتُهُ مِنَ اللَّيْنِ، إِذَا ذَاقَ⁽⁵⁸⁾، هَوَاهَا؟
- 12 - أَيُّ تَكَلَّى أَعُولْتُ إِذْ فَارَقَ السَّهْمُ حَشَاهَا؟
- 13 - كَيْفَ يُرْضِيهِ شَجَاهَا؟ كَيْفَ يُصْغِي لُبْكَاهَا؟
- 14 - كَيْفَ رِيعَ الْوَحْشِ مِنْ هَاتِفِ سَهْمٍ إِذْ رَمَاهَا؟
- 15 - كَيْفَ يَخْشَى طَارِقًا، فِي لَيْلَةٍ يَهْمِي⁽⁵⁹⁾ تَدَاهَا؟
- 16 - كَيْفَ رَدَّاهَا⁽⁶⁰⁾ خَرِيرَ الْبَرِّ حَرْصًا وَكَسَاهَا؟
- 17 - كَيْفَ هَزَّئُهُ فَتَاهَا؟ وَتَعَالَى وَتَبَاهَى؟
- 18 - كَيْفَ وَافَى مَوْسَمَ الْحَجِّ بِهَا؟.. مَاذَا دَهَاها؟
- 19 - أَيُّ عَيْنٍ لَمَحَتْ سِرَّهْمَا الْمُضْمَرَّ؟.. بَلْ كَيْفَ رَآهَا؟
- 20 - انْتَبَرَى كَالصَّفْرِ يَنْقُضُ إِلَيْهَا.. فَأَتَاهَا!!
- 21 - مَسَّهَا دُو لَهْفَةٍ تَخْفَى..، وَإِنْ جَارَتْ مَدَاهَا
- 22 - قَالَ: سُبْحَانَ الَّذِي سَوَّى!! وَأَفْدِي مَنْ بَرَاهَا
- 23 - أَنْتُ...!! بَغْنِيهَا..
- نَعَمْ إِنْ شِئْتَ!! [تَعْسَا وَسَفَاهَا]⁽⁶¹⁾
- 24 - قَالَ: بِالتَّبَرِّ.. وَبِالْفِصَّةِ، بِالْخَرِّ.. وَمَا شِئْتَ سِوَاهَا
- 25 - بِثِيَابِ الْخَالِ⁽⁶²⁾.. بِالْعَصَبِ الْمُوشَى.. أَتَرَاهَا؟

54 () اجتباها: اختارها واصطفاه.

55 () انغل: تغلغل بين شجرها. الحشا: الجوف. العيص: الشجر النابت بعضه في أصول بعض.

56 () أنحى: وجه وسدد. اختلاها: جزها وقطعها.

57 () اللحاء: قشر العود من الشجر.

58 () ذاق القوس: جذب وترها لينظر ماشدتها.

59 () يهمي: يسقط ويسيل.

60 () رداها: جعله لها رداء والبز: الثياب.

61 () سفاها: دعاء عليه بخسران نفسه.

62 () ثياب الخال: ثياب رقيقة تصنع ببلدة الخال. العصب: برود كانت تصنع باليمن، يعصب غزلها ويجمع ثم يصبغ فيأتي موشى لبقاء ماعصب منه أبيض لم يأخذه صبغ. والموشى: المختلط الألوان.

26 - وَأَدِيمُ (63) المَاعِزِ الْمَقْرُوظِ.. أَرَبَى مَنِ شَرَاهَا!
27 - [كَيْفَ قَالَ الشَّيْخُ؟!.. كَلَّا! إِنَّهَا بَعْضِي وَالْمَالُ؟. بَلِ الْمَالُ قَدَاهَا]

28 - إِنَّهَا الْفَاقَةُ وَالْبُؤْسُ!!.. نَعَمْ!.. هَذَا غِنَى!!.. كَلَّا وَشَاهَا (64)

29 - بَلْ كَفَانِي قَاقَةً.. لَا!.. كَيْفَ أَنْسَاهَا؟.. وَأَنْتَى؟! وَهَوَاهَا]

30 - لَمْ يَكْذُ.. حَتَّى رَأَى تَابَسًا، وَهَمْسًا، وَشِفَاهَا:

31 - بَايَعَ الشَّيْخَ! أَحَاكَ الشَّيْخَ!.. قَدْ نِلْتَ رِضَاهَا!!

32 - إِنَّهُمْ رِنْجٌ!.. فَلَا يُفْلِكَ!.. أَعْطَى، وَاشْتَرَاهَا (65)!

33 - وَرَأَى كَفِيهِ صُفْرًا، وَرَأَى الْمَالَ... قَتَاهَا (66)

34 - لَمَحَةً...، ثُمَّ تَجَلَّى الشَّكُّ عَنْهُ...، فَبَكَاهَا!

35 - وَرَثَاهَا بِدُمُوعٍ، وَبَحَهُ! كَيْفَ رَثَاهَا؟1

36 - فَتَوَلَّى.. وَسَعِيرَ النَّارِ يُخْفِي وَلِظَاهَا!

37 - حَسْرَةُ تُطَوَّى عَلَى أُخْرَى...، فَأَغْصَى... وَطَوَاهَا!

* * *

فاسمِعْ إِذْنُ صَدَى صَوْتِ الشَّمَاخ:

38 - تَجَاوَبُ عَنْهُ كُهُوفُ الْقُرُونِ، تَرَدَّدَ فِيهَا كَأَن لَمْ يَزَلْ

39 - وَأَوْقَى عَلَى الْقِمَمِ الشَّامَخَات: جِبَالٌ مِنَ الشَّعْرِ مِنْهَا

اسْتَهْلُ (67)

40 - تَجَدَّرَ أَنْعَامُهُ الْمُرْسَلَاتُ، أَنْعَامَ سَيْلٍ طَعَى وَاحْتَقَلَ (68)

41 - رَأَى حُمْرَ الْوَحْشِ، قَابَتَرَهَا (69) بِلَايِلِهَا مِنْ حَدِيثِ الْوَجَلِ

42 - رَأَاهَا ظَمَاءً إِلَى مَوْرِدٍ، فَقَرَّعَهَا عَنْهُ خَوْفٌ مَثَلٌ (70)

43 - فَطَارَتْ سِرَاعًا إِلَى غَيْرِهِ، يَعْذُو تَصَرَّعَ حَتَّى اشْتَعَلَ

44 - فَلَمْ تَدُنْ حَتَّى رَأَتْ صَائِدَيْنِ، فَصَدَّتْ عَنِ الْمَوْتِ لِمَا

أَهْلٌ

63 () الأديم: الجلد المدبوغ. المقروظ: المدبوغ بالقرظ. أربى: زاد ماله وارتفع على ما يستحقه. شراها: باعها.

64 () شاه الوجه: صار قبيحاً مشوهاً تكرهه النفس.

65 () اشتراها: باعها.

66 () تاه: من التيه، وهو العجب والفرح.

67 () استهل المطر: هطل واشتد انصبابه.

68 () احتفل السيل: جاء بملء جنبي الوادي.

69 () ابتزها: غلبها وغصبها وسلبها، والبلابل: وساوس القلب التي تضطرب فيه. الوجل: شدة الخوف.

70 () مثل: انتصب قائماً.

45 - فَكَالْبَرْقِ طَارَتْ إِلَى مَأْمَنٍ عَلَى ذِي الْأَرَاكِةِ (71) صَافِي النَّهْلِ

.. فَخَلَّاهَا عَنْ ذِي الْأَرَاكِةِ عَامِرٌ
أَخُو الْخُضِرِ، يَرْمِي حَيْثُ تُكْوَى النَّوَاجِزُ
- قَلِيلُ التَّلَادِ، غَيْرَ قَوْسٍ وَأَسْهُمٍ؛ *** كَأَنَّ الَّذِي يَرْمِي مِنَ
الْوَحْشِ، تَارِزٌ
- مُطْلَاً بَرْقٍ مَا يُدَاوِي رَمِيَّهَا، *** وَصَفْرَاءَ مِنْ تَبَعٍ عَلَيْهَا
الْجَلَّازُ

46 - فَكَيْفَ تَدِسُّ هَذَا الْبَيَانُ حَتَّى رَأَى بُعْيُونَ الْحُمْرَ؟
47 - وَكَيْفَ تَغْلَعُ هَذَا اللِّسَانُ وَبَيْنَ عَنْ رَاحِقَاتِ الْحَذَرِ (72)
48 - لَوَاهَا (73) عَنِ الرِّيِّ عِرْفَانَهَا أَخَا الْخُضِرِ، عِرْفَانٌ مَن قَدْ
عَقَلَ!

49 - وَعَلَّمَهَا أَيْنَ تُكْوَى الْجُنُوبُ بِنَارِ الطَّيِّبِ لِدَاءٍ تَرُلُ!
50 - وَأَنَّ الْخَصَاصَةَ (74) قَوْسُ الْبَيْسِ، إِذَا انْقَذَفَ السَّهْمُ
عَنْهَا قَتْلُ!

51 - يُسَابِقُ مُسْتَنْهَضَاتِ (75) الْفِرَارِ فَيَقْتُلُهَا قَبْلَ أَنْ تَسْقُلَ!
52 - فَيُدْرِكُهَا الْمَوْتُ مَغْرُوسَةً قَوَائِمُهَا فِي الشَّرَى...، لَمْ تَرُلْ!
53 - وَعَرَفَهَا أَنَّهُنَّ السَّهَامُ: زُرْقٌ تَلَالُ أَوْ تَشْتَعِلُ!
54 - وَصَفْرَاءُ قَاقِعَةٍ (76)، أَدْ كَرَّتْ مَصَارِعَ آبَائِهِنَّ الْأَوَّلِ
55 - سِهَامٌ تَرَى مَقْتَلَ الْحَائِمَاتِ (77)، وَقَوْسٌ تُطْلُ بِحَنْفٍ
أَظْلُ!

- تَخَيَّرَهَا الْقَوَاسُ مِنْ قَرَعِ صَالَةٍ *** لَهَا شَدَبٌ مِنْ دُونِهَا
وَحَوَاجِزُ
- تَمَتْ فِي مَكَانٍ كُنْهًا، فَاسْتَوَتْ بِهِ، *** فَمَا دُونَهَا مِنْ غِيلِهَا
مُتَلَاكِزُ
- فَمَارَالَ يَنْجُو كُلَّ رَطْبٍ وَيَاسِ *** وَيَنْعَلُ...، حَتَّى تَالَهَا
وَهُوَ بَارِزُ

71 () ذو الأراكاة: موضع ماء. النهل: أول الشرب عند ورد مناهل الماء.
72 () راجفات الحذر: التي ترجف بالقلب، حتى يضطرب اضطراباً شديداً.
73 () لوأها: صرف وجوها عن الشرب.
74 () الخصاصة: الجوع والفقر والحاجة وسوء الحال. والبئس: الفقير البائس الشديد البؤس.
75 () مستنهضات الفرار: التي تنهض به داعية الفرار.
76 () قاقعة: خالصة اللون مشرقة.
77 () الحائمات: التي تحوم الماء عطاشاً. الحنف: أطل: دنا وقرب، وألقى على الشيء ظله.

- فَأَنحَى عَلَيْهَا ذَاتَ حَدٍّ، غُرَابُهَا *** عَدُوٌّ لِأَوْسَاطِ الْعِصَاهِ
مُشَارِرٌ
- فَلَمَّا اطْمَأَنَّتْ فِي يَدَيْهِ...، رَأَى غَتَّى *** أَحَاطَ بِهِ، وَأَزُورَ

عَمَّنْ يَحَاوِرُ
56 - تَخَيَّرَهَا بَائِسٌ، لَمْ يَزَلْ يُمَارِسُ أَمْتَالَهَا مُدَّ عَقْلٍ
57 - تَبَيَّنَهَا وَهِيَ مَحْجُوبَةٌ، وَمِنْ دُونِهَا يَسْتَرْهَا الْمُنْسَدِلُ (78)
58 - حَمَاهَا الْعُيُونُ فَأَخْطَأَتْهَا، إِلَى أَنْ أَتَاهَا خَبِيرٌ عَضِلَ (79)
59 - رَأَى عَادَةً تُشَبِّتُ فِي الظَّلَالِ، ظِلَالِ النِّعَمِ، فَصَلَّى (80)

وَهَلَّ
60 - فَنَادَتْهُ مِنْ كَيْتِهَا (81) فَاسْتَجَابَ: لَبَّيْكَ! [يَا قَدَّهَا الْمُعْتَدِلُ]
61 - سُبُورٌ مُهْدَلَةٌ (82) دُونَهَا، وَخُرَّاسُهَا كَرَمَاحِ الْأَسَلِ
62 - يَبِيسٌ (83) وَرَطْبٌ وَدُو شَوْكَةٍ فَأَشْرَطَهَا نَفْسُهُ.. لَمْ يَبَلْ
63 - وَسَلَّ لِسَانًا مِنَ الْبَاتِرَاتِ...، وَأَنْغَلَّ (84) عَاشِقُهَا
الْمُخْتَبِلُ!!

64 - يَحْتُ الْيَبِيسَ (85)، وَيُرْدِي الرُّطَابَ، وَيُغْمِضُ فِي
ظُلُمَاتِ تُضِلُّ
65 - فَهَتَكَ أَسْتَارَهَا بَارِزاً إِلَى الشَّمْسِ.. قَدْ تَالَهَا! حَيْهَلُ (86)!!

66 - فَأَنحَى (87) إِلَيْهَا اللِّسَانَ الْحَدِيدَ يَبْرُقُ..، وَهُوَ خَصِيمٌ
جَدِلُ

67 - عَدُوٌّ شَرِيسٌ (88)، لَهُ سَطْوَةٌ بِكُلِّ عَتِي قَدِيمِ الْأَجَلِ
68 - فَأَنْكَلَ أَمَّا غَدَّتْهَا النَّعِيمَ، وَرَاحَ بِهَا وَهُوَ بَادِي الْجَدَلِ (89)

- () المنسدل: الطويل المسترخي المرسل. 78
() عضل: داهية منكر شديد الغلبة. 79
() صلى: دعا وعظم الله وقده. هل: فرح وصاح. 80
() الكن: المكان الذي يستريحها ويحببها عن العيون. 81
() مهدة: مرخاة متدلية. الأسل: نبات دقيق القصبان طويل شديد الاستواء. 82
() يبيس: يابس. ذو شوك: ذو شوك. أشرطها نفسه: أعد لها نفسه، إما أن ينالها أو يهلك، غير مبال. 83
() انغل: تغلغل. المختبل: الذاهب العقل. 84
() يحت اليبيس: يستأصل اليباس ويرميه. ويردي: يسقط الرطب. ويغمض: يوغل. 85
() حيهل: كلمة تقال للحث والاستعجال. 86
() أنحى: وجه ناحيتها. اللسان الحديد: هو المبراة الحادة القاطعة. خصيم: شديد الخصومة. جدل: شديد اللد في الخصومة. 87
() شريس: شديد الشراسة. عتي: طال تمرده وكبره. قديم الأجل: متقدم العمر. 88
() الجدل: الفرع الذي يهز الأعطاف. 89

- 69 - فَلَمَّا أُطْمَأْنِنْتُ عَلَى رَاحَتِيهِ، وَعَيْنَاهُ تَسْتَرْقَانِ (90) الْقَبْلُ
 70 - رَقَاهَا، فَأَخْبَى صَبَابَاتِهَا بَتَّعْوِيدَةٍ مِنْ خَفِيِّ الْعَزْلِ
 71 - فَتَاجَتْهُ... فَاهْتَزَّ مِنْ صَبْوَةٍ، وَمِنْ فَرَحٍ بِالْغِنَى الْمُقْتَبِلِ (91)
- 72 - وَأَعْرَضَ عَنْ كُلِّ ذِي خَلَّةٍ (92)، غِنَىً بِأَلَّتِي حَارَهَا...
 وَانْقَلَبَ...
 - فَمَظَلَّهَا عَامَيْنِ مَاءً لِحَائِهَا *** وَيَنْظُرُ مِنْهَا : أَيَّهَا هُوَ عَامِرُ
 - أَقَامَ الثَّقَافُ وَالطَّرِيدَةُ دَرَاهَا، *** كَمَا قَوِّمَتْ ضِعْفَ
 الشَّمُوسِ الْمَهَامِرُ
 73 - مَعَ الشَّمْسِ عَامَيْنِ.. حَتَّى تَجِفَّ وَتَشْرَبَ مَاءَ لِحَاءٍ (93)
 خَصْلُ
 74 - وَفِي الْبُؤْسِ عَامَيْنِ... يَخْبَى لَهَا، وَيُخَيِّهِ مِنْهَا: الْغِنَى
 وَالْأَمَلُ
 75 - تَرَدَّدَ عَامَيْنِ... مِنْ كَهْفِهِ إِلَى مَهْدِهَا، عِنْدَ سَفْحِ الْجَبَلِ
 76 - يُغْنِي لَهَا، وَهُوَ بَارِي الشَّقَاءِ، بَارِي الْبَذَاذَةِ (94)، حَتَّى
 هُزِلَ
 77 - يُقْلِبُهَا بِيَدَيْ مُشْفِقٍ لَهَيْفٍ (95)، لَطِيفٍ، رَفِيقٍ، وَجِلٍ
 78 - يُعَرِّضُهَا لِلْهَيْبِ الْهَجِيرِ، رَوْوْفًا بِهَا، عَاكِفًا لَا يَمَلُ
 79 - فَلَمَّا تَمَحَّصَ (96) عَنْهَا النَّعِيمُ، وَاشْتَدَّ أَمْلُودُهَا، وَانْقَلَبَ
 80 - عَصْنُهُ، وَسَاءَتْهُ أَخْلَاقُهَا نُشُورًا (97). فَلَمَّا التَّوْتُ كَالْمُدْلِ
 81 - أَعَدَّ الثَّقَافَ (98) لَهَا عَاشِقٌ يُؤَدِّبُهَا أَدَبَ الْمُمَثِّلِ
 82 - وَعَضَّ عَلَيْهَا.. فَصَاحَتْ لَهُ، فَاشْفَقَ إِشْفَاقَةً، وَانْجَفَلَ (99)
- 83 - فَجَسَّ، فَعَاطَنَهُ وَأَسْتَعْلَظَتْ، فَعَضَّ بِأُخْرَى، فَلَمْ تَمَثِّلْ
 84 - فَالْقَى الثَّقَافَ...، وَأَوْصَى الطَّرِيدَةَ (100) أَنْ تَسْتَبِدَّ بِهَا،

() تسترق: تسرق خلسة مرة بعد مرة.
 () المقتبل: الذي سوف يستقبله.
 () الخلّة: الصداقة التي تتخلل النفس.
 () اللحاء: قشر العود من الشجر. الخضل: الناعم الرطب الندي.
 () البذاذة: رثاءة الهيئة وسوء الحال.
 () لهيف: شديد التلهف والأسى مخافة أن تتلف وقد أشرف على صنعها.
 () تمحص: سقط عنها فخلصت منه واشتدت. أملودها: قوامها اللدن الناعم.
 () النشور: العصيان وترك الطاعة.
 () الثّفاف: حديدة في طرفها خرق يتسع للقوس، ليقوم عوجها، الممثل:
 المحتذي بالأمر الذي يؤمر به.
 () انجفل: ارتاع فارتد مسرعاً.
 () الطريدة: قصبة مجوفة بقدر ما يلزم القوس، فيها سفن خشن، والسفن

لَا تَكِلْ

- 85 - وَالْقَمَهَا قَدَّهَا، فَأَبْرَتْ تُخَاشِئُهَا بَغْلِيْظَ مَحِلٍّ (101)
- 86 - يُجَرِّدُهَا مِنْ ثِيَابِ الْعِنَادِ، وَمِنْ دِرْعِهَا الصَّغْبِ، حَتَّى تَذِلَّ
- 87 - فَلَمَّا تَعَرَّتْ لَهُ حُرَّةٌ وَمَمْشُوقَةٌ الْقَدِّ رِيًّا (102)، جَعَلَ
- 88 - وَسَبَّحَ لَمَّا اسْتَهْلَتْ لَهُ، وَلَانَ لَهُ ضِعْنُهَا (103) ... وَابْتَهَلَ
- وَذَاقَ...، فَأَعْطَتْهُ مِنَ اللَّيْنِ جَانِبًا *** كَفَى - وَلَهَا أَنْ يُغْرِقَ
- السَّهْمَ حَاجِزُ
- إِذَا أَبْصَرَ الرَّامُونَ عَنْهَا، تَرْتَمَتْ *** تَرْتَمَ تَكَلَّى أَوْجَعَتْهَا
- الْجَنَائِزُ
- هُتُوفٌ...، إِذَا مَا خَالَطَ الطَّبَّي سَهْمُهَا! *** وَإِنْ رِيْعَ مِنْهَا
- أَسْلَمَتْهُ التَّوَاقِزُ
- 89 - أَطَاعَتْهُ مِنْ بَعْدِ أَنْ لَوَعَتْهُ بِالْوَجْدِ عَامِينَ حَتَّى نَحَلَ
- 90 - يُرْزَلُهُ أَمَلٌ يَسْتَفِرُّ فِي قَيْدِ بُؤْسٍ يُمِيتُ الْأَمَلَ
- 91 - فَلَمَّا أَدَاقَتْهُ، إِذْ ذَاقَهَا، هَوَى أَصْمَرَتْهُ لَهُ لَمْ يَزَلْ
- 92 - تَبَيَّنَ إِذْ رَامَهَا، حُرَّةٌ حَصَانًا (104)، تَعِفُّ فَلَا تُبْذَلُ
- 93 - تَلِيْنٌ لِأَبْلٍ عُشَّاقِهَا، وَتَأَبَّى عَلَيْهِ إِذَا مَا جَهَلَ (105)
- 94 - فَأَعْصَى حَيَاءً...، وَأَفْصَى بِهَا إِلَى كَهْفِهِ خَاطِفًا، قَدْ عَجَلَ
- 95 - فَأَهْدَى لَهَا حَلِيَّةً صَاغَهَا بِكَفِّهِ، وَهُوَ الرَّفِيقُ الْعَمِلُ (106)
- 96 - تَخَيَّرَهَا مِنْ حَشَا أَذُوبٍ (107)، رَأَاهَا لَدَى أُمِّهَا تَسْتُظِلُّ
- 97 - أَعَدَّ لَهَا وَتَرَأَ كَالشُّعَاعِ حُرًّا...، عَلَى أَرْبَعٍ (108) قَدْ قُتِلَ
- 98 - فَلَمَّا تَحَلَّتْ بِهِ، مَسَّهَا فَحَنَّتْ (109) حَنِينَ الْمَشُوقِ
- الْمُضِلُّ
- 99 - فَكَفَّلَهَا (110) مِنْ بَنِي أُمِّهَا صَغِيرًا، تَرْدَى بِرِيْشٍ كَمَلْ
- 100 - لَهُ صَلَعَةٌ كَبْصِيصٍ اللَّهِيْبِ مِنْ جَمْرَةٍ حَيَّةٍ تَسْتَعِلُّ

(بفتحتين) هو ما يسمى (السنفرة).

101

() محل: شديد المكر والقوة.

102

() ريا: ناعمة يبرق فيها ماء الصفاء.

103

() ضغنها: عسرها والتواؤها وصعوبة انقيادها.

104

() الحصان: الحرة الممتنعة التي تعف عن الريبة.

105

() جهل: استزله الشيطان واستخفه.

106

() العمل: الذي يحسن العمل والحركة فيما يعمل.

107

() أذوب: (جمع ذئب).

108

() على أربع: أي على أربع طاقات. وهو أكرم للوتر وأقوى.

109

() حنت: رجعت صوتها ترجيع المشتاق أو الباكي. المضل: الذي قد ضل عنه

أحبابه أو فارقه، فهو ينشدهم.

110

() كفَّلها: جعلها تكفله وتضمه إليها كالأم. الصغير من بني أمها: أخوها

السهم.

- 101 - فَصَمَّتْ عَلَيْهِ الْحَشَا رَحْمَةً وَكَادَتْ تُكَلِّمُهُ.. لَوْ عَقَلُ!
- 102 - فَجَنَّ جُنُونُ الْمُحِبِّ الْغُيُورِ!.. فَأَنْبَضَ⁽¹¹¹⁾ عَنْهَا أَبِي بَطَلُ!
- 103 - أَرَنْتَ⁽¹¹²⁾ تُبْكِي أَخَاهَا الصَّغِيرَ: وَيَحْيِي!! أَخِي!! وَيَلَهُ!!
- 104 - فَظَلَّ يُفَجِّعُهَا⁽¹¹³⁾: أَنْ تَرَى جَنَائِزَ إِخْوَتِهَا... وَأَ تَكَلَّ!
- 105 - فَأَعْرَضَ ظَبْيُ⁽¹¹⁴⁾ فَنَادَى بِهِ أَخُوَهَا... وَنَادَتْهُ: هَا! قَدْ قُتِلَ
- 106 - وَقَفَّاهُ⁽¹¹⁵⁾ ظَبْيُ فَصَاحَتْ بِهِ... فَخَارَتْ قَوَائِمُهُ.. ، فَاصْمَحْ!
- 107 - فَأَبَا.. يَسْأَلُهَا: هَلْ رَضِيتِ بِكُلِّ الْأَحَبَّةِ؟ قَالَتْ: أَجَلُ
- 108 - فَبَاتَا بَلِيلَةَ مَعْشُوقَةٍ تُبَاذِلُ عَاشِقَهَا مَا سَأَلَ
- كَأَنَّ عَلَيْهَا رَغْفَرَاتًا تَمِيرُهُ*** خَوَازِنُ عَطَّارِ يَمَانَ كَوَائِرُ
- إِذَا سَقَطَ الْأَنْدَاءُ، صَيَّتْ وَأَشْعِرَتْ*** حَبِيرًا، وَلَمْ تُدْرَجْ
- عَلَيْهَا الْمَعَاوِرُ
- 109 - يُعَاذِلُهَا، وَهِيَ مُصَفَّرَةٌ، عَلَيْهَا بَقِيَّةُ حُزْنِ رَحْلٍ
- 110 - تُنَاسِمُهُ⁽¹¹⁶⁾ عِطْرَهَا، وَالشَّدَا شَدَا رَغْفَرَانٍ عَتِيقِ الْأَجَلِ
- 111 - تَوَارَتْهُ الْغَيْدُ يَكْنِزُهُ لِرَبِيبَتَيْنِ، خَفِيَ الْمَحَلُّ
- 112 - فَسَاهَرَهَا⁽¹¹⁷⁾ يَزْدْهِيه الْجَمَالُ وَيُسْكِرُهُ الْعَرْفُ، حَتَّى دَهَلَ
- 113 - فَنَادَتْهُ: وَيَحَكَ! أَهْلَكْتَنِي! أَغْنِنِي... هَذَا النَّدَى قَدْ تَزَلَّ
- 114 - فَطَارَ إِلَى عَيْبَةٍ⁽¹¹⁸⁾ صُمَمَتْ حَرِيرًا مُوشَى تَقِيَّ الْحَمَلِ
- 115 - كَيْبَاهَا حَفِيَّ بِهَا عَاشِقُ! إِذَا أَفْرَطَ الْحُبُّ يَوْمًا قَتَلَ
- 116 - فَأَلْبَسَهَا الدَّفَّ ضَنًّا بِهَا... وَبَاتَ قَرِيرًا⁽¹¹⁹⁾.. عَلَيْهِ

111 () أنبض القوس: جذب وترها ثم أرسله: فيسمع له صوت كاللبكاء.

112 () أرنت: صاحت صياح النائحة الحزينة.

113 () يفجعها: ينزل بها الفجعة بعد الفجعة.

114 () أعرض الطبي: أمكن الرامي من عرضه، أي جانبه.

115 () قفاه: تبعه وجاء بعده، اضمحل: سقط وانقشع.

116 () تناسمه: تهدي إليه نسيمها، والشذا: الرائحة الطيبة.

117 () ساهرها: بات معها ساهراً. يزدهيه: يستخف لبه العرف: الرائحة الطيبة يعرف بها صاحبها.

118 () العيبة: وعاء من آدم تحفظ فيه الثياب. الخمل: هذب القطيفة وزئبرها.

119 () قرير: قد أخذته قرة البرد، وهو أشده، والسمل: الثوب الخلق المدرس

سَمَلٌ!!
- قَوَافِي بِهَا أَهْلَ الْمَوَاسِمِ، فَأُنْبِرَى *** لَهَا بَيْعٌ يُغْلِي بِهَا
السَّوْمَ رَائِرُ
- فَقَالَ لَهُ : هَلْ تَشْتَرِيهَا؟! فَإِنَّهَا *** تَبَاغُ بِمَا يَبِيعُ التَّلَادُ
الْحَرَائِرُ
- فَقَالَ : إِزَارُ شَرْعِيٍّ، وَأَرْبَعُ *** مِنَ السَّيَرَاءِ، أَوْ أَوَاقٍ
تَوَاجِرُ
- تَمَانٍ مِنَ الْكُورِيِّ، حُمْرُ، كَأَنَّهَا *** مِنَ الْجَمْرِ مَا أَدَكَى عَلَى
النَّارِ خَائِرُ
- وَتُرْدَانٍ مِنْ خَالٍ، وَتَسْعُونَ دِرْهَمًا، *** عَلَى ذَاكَ مَقْرُوطُ
مِنَ الْجِلْدِ مَا عَزُ
117 - تَمَتَّعَ دَهْرًا بِأَيَّامِهَا وَلَيْلَاتِهَا نَاعِمًا قَدْ تَمَلُّ (120)
118 - يَرَاهَا، عَلَى بُؤْسِهِ، جَنَّةٌ تَدَلُّ بِأَثْمَارِهَا، فَاسْتَيْظَلَّ
119 - نُصَاحِبُهُ فِي هَجِيرِ الْقِفَارِ، وَفِي ظُلَمِ اللَّيْلِ أَنَّى تَزَلُ
120 - فَيَحْرُسُهَا وَهُوَ فِي أَمْنَةٍ (121)، وَتَحْرُسُهُ فِي عَوَاشِي
الْوَجَلِ
121 - يَجُوبُ الْوَهَادَ (122)، وَيَعْلُو النَّجَادَ، وَيَأْوِي الْكَهُوفَ،
وَيَرْقَى الْقُلُلَ
122 - وَيُفْضِي إِلَى مُسْتَقَرِّ الْحُتُوفِ: فِي دَارِ نَمْرِ، وَذُنْبٍ،
وَصِلُ (123)
123 - مَنَازِلَ عَادٍ، وَأَشْقَى ثُمُودَ، وَحِمَيْرَ، وَالْبَائِدَاتِ (124)
الْأُولُ
124 - مَجَاهِلَ مَا إِنْ بِهَا مِنْ أَنْيَسٍ، وَلَا رَسْمَ دَارٍ يُرَى أَوْ
طَلَلُ
125 - يُعَلِّمُهَا كَيْفَ كَانَ الزَّمَانُ، وَمَجْدُ الْقَدِيمِ، وَكَيْفَ ابْتَقَلُ!
126 - وَكَيْفَ تَسَاقَى بِهَا الْأَوَّلُونَ رَحِيقَ الْحَيَاةِ وَحُمْرَ الْأَمَلِ!
127 - وَأَيْنَ الْأَخِلَاءُ كَانُوا بِهَا يَجْرُونَ دَيْلَ الْهَوَى وَالْعَزَلِ!
128 - وَمَلِكُ تَعَالَى، وَطَاغِ عَتَا، وَحُرَّ أَبِي وَحْرِيسُ عَقْلُ!

البالي.

- 120 () ثمل: أخذ فيه الشراب والسكر.
121 () أمنة: أمان من الخوف. غواشي الوجل: ما يغشاه من المخاوف.
122 () الوهاد: الأرض المنخفضة. النجاد: الأرض المرتفعة. القلل (جمع قلة): وهو رأس الجبل.
123 () الصل: حية تقتل إذا نهشت من ساعتها، لا تنفع فيها الرقية.
124 () البائدات الأول: طسم وجديس وجرهم، وما باد من العرب العاربة.

- 129 - قَدَمَدَمَ ⁽¹²⁵⁾ بَيْتَهُمْ صَارْحُ: بَقَاءَ قَلِيلٍ!! وَدُنْيَا دُولٍ!!
- 130 - قَعَرَشْ يَخْرُ، وَسَاعٍ يَقَرُّ ⁽¹²⁶⁾، وَسَاقٍ يَمِيلُ.. وَتَجْمُ أَفْلٌ!!
- 131 - زَهْدْتُ إِلَيْكَ وَقَارَفْتُهُمْ أَخْلَاءَ عَهْدِ الصَّبَا وَالْجَدَلِ
- 132 - قَنِعَمَ الصَّدِيقُ! وَنِعَمَ الْحَلِيلُ وَنِعَمَ الْإِنِيسُ.. وَنِعَمَ الْبَدَلُ!!
- 133 - صَدِيقُ ⁽¹²⁷⁾ صَدَاقْتُهَا حُرَّةٌ، وَخِلَ خِلَالَتِهَا لَا تُمَلِّ
- 134 - وَغَابَا مَعَا عَنْ عُيُونِ الْخُطُوبِ، وَعَنْ كُلِّ وَاشٍ وَشَى أَوْ عَدَلٍ
- 135 - وَعَنْ فِتْنَةٍ تُذْهِلُ الْعَاشِقَيْنِ، تُضِيءُ الدُّجَى لِذَيْبِ الْمَلَلِ
- 136 - وَطَالَ الزَّمَانُ، فَحَنَنْتُ بِهِ إِلَى الْحَجِّ دَاعِيَةً تَسْتَهِّلُ ⁽¹²⁸⁾
- 137 - أَذَانُ مِنَ اللَّهِ! كَيْفَ الْقَرَارُ؟ وَأَيْنَ الْفِرَارُ؟ وَكَيْفَ الْمَهْلُ ⁽¹²⁹⁾
- 138 - يُرَدِّدُهُ الْبَيْدُ بَيْنَ الْفِجَاجِ، وَفَوْقَ الْجِبَالِ، وَعِنْدَ السُّبُلِ
- 139 - أَصَاحَ لَهُ، وَأَصَاحَتْ لَهُ، وَلَبَنُهُ قَامُتْلَتْ، وَامُتْلَتْ
- 140 - وَطَارَا مَعَا كَظِمَاءِ الْقَطَا ⁽¹³⁰⁾، إِلَى مَوْرِدِ زَاخِرٍ مُحْتَفِلٍ
- 141 - قَوَافِي الْمَوَاسِمِ. فَاسْتَعْجَلْتُ تُسَائِلُهُ: مَنْ أَرَى؟.. أَيْنَ صَلُّ؟
- 142 - أَسَرَّ إِلَيْهَا: أَوْلَاكَ الْحَجِيجُ!! فَلَبَّى لِرَبِّ تَعَالَى وَجَلُّ
- 143 - وَنَادَتْهُ جَافِلَةً ⁽¹³¹⁾: مَا تَرَى! أَجْدَوَةٌ تَارَ أَرَى أَمْ مُقْلٌ؟
- 144 - قَمَا كَادَ... حَتَّى رَأَى كَاسِرًا ⁽¹³²⁾ تَقَادَفَ مِنْ شَعَفَاتِ الْجَبَلِ
- 145 - يُدَانِي الْخُطَا، وَهُوَ نَارٌ تَوُجُّ ⁽¹³³⁾، وَيُبْدِي أَنَاءَةً تَكْفُ الْعَجَلِ

125 () الدمدمة: صوت مزعج يرفع على الناس ويطبق.

126 () ساع يقر: بينا هو يسعى هنا وهناك، إذ ثبت مكانه. أفل: غاب وهوى.

127 () الصديق، والخل: يقال للمذكر والمؤنث جميعا. والخلالة: الصداقة التي تتخلل النفوس.

128 () تستهل: ترفع الصوت إهلا بالبح، وتلبية لله سبحانه.

129 () المهل: الاستنظار والتؤدة.

130 () ظماء القطا: الوارد الماء. محتفل: فيه محافل الناس ومجامعهم

131 () جافلة: مذعورة تكاد ترتد. جذوة النار: الجمرة الملتهبة.

132 () الكاسر: الذي ضم جناحين وانقض: تقاذف: هوى على عجل. شعفات الجبل: رؤوسه وقممه.

133 () توج: تلهب، ويسمع لتلهبها صوت، وهو أجيح النار.

- 146 - وَمَدَّ يَدَا لَا تَرَاهَا الْعُيُونُ، أَخْفَى إِذَا مَا سَرَتْ مِنْ أَجَلٍ
 147 - وَتَنْظَرَةٌ عَيْنُهَا رَوْعَةً، تُخَالِ صَلِيلَ سُيُوفٍ تُسَلِّ
 148 - فَلَمَّا أَهْلٌ وَأَلْقَى السَّلَامَ، وَافْتَرَعَنَّ بِسْمَةِ الْمُخْتَلِ

(134)

- 149 - وَقَالَ : أَذِنْتَ؟! وَيُمْنَى يَدَيْهِ يَمَسُّ أُنَامِلُهَا مَا سَأَلَ
 150 - رَأَى بَائِسًا مَالَهُ حُرْمَةً تَكْفُ أَدَى عَنْهُ...، يُؤَسُّ وَدُلَّ
 151 - وَقَالَ : قَدَيْتُكَ! مَاذَا حَمَلْتَ؟ وَمَاذَا تَتَكَبَّتْ (135) يَاذَا
 الرَّجُلُ؟!
 152 - وَأَفْدِي الَّذِي قَدْ بَرَى عُودَهَا، وَقَوِّمَ مُنَادَهَا (136)،
 وَاعْتَمَلْ!!
 153 - فَهَزَّتْهُ مَا كِرَةً، (137) لَمْ يَزَلْ يَتِيَهُ بِهَا السَّهْمُ، حَتَّى عَقَلَ
 154 - فَاسْلَمَهَا لِشَدِيدِ الْمَحَالِ (138)، ذَلِيقَ اللِّسَانِ، خَفِيَّ
 الْجِيلِ
 155 - فَلَمَّا تَرَامَتْ عَلَى رَاخَتَيْهِ، وَرَارَ (139) مَعَاطِفَهَا وَالتَّقَلُّ
 156 - دَعَتْ: يَاخَلِيلِي! مَاذَا فَعَلْتَ؟! أَسْلَمْتَنِي؟! لِسَوَاكَ
 الْهَبْلُ (140)!!
 157 - فَخَالَسَهَا (141) تَنْظَرَةً خَفَضَتْ غَوَارِبَ جَاشٍ غَلَا
 بِالْوَهْلِ
 158 - وَقَالَ : لَكَ الْخَيْرُ! قَدَيْتَنِي بِنَفْسِكَ!!
 - بَارِي قِسِي!
 - أَجَل!!
 159 - قَبِعْنِي إِذَنْ!!
 - هِيَ أَغْلَى عَلَيَّ، إِذَا رُمَتْهَا، مِنْ تِلَادٍ (142) جَلَلٍ!
 160 - فَقَالَ : نَعَمْ! لَكَ عِنْدِي الرِّضَى، وَفَوْقَ الرِّضَى!
 - [وَيْلُهُ مَنْ مُضِلٌّ!]

- () 134 المختل: المخادع الذي يطلب غفلة الصيد.
 () 135 تنكب القوس: وضعها على منكبه.
 () 136 المناد: المعوج. اعتمل: جاهد في عملها.
 () 137 ماكرة: كلمة مكر.
 () 138 المحال: الكيد والمكر الشديد الخفي. ذليق اللسان: فصيح اللسان طليقه.
 () 139 راز الشيء: وضعه في كفه ليعرف ثقله وامتحنه، ومعاطف القوس: مقدار انعطافها إذا حناها وشد وترها.
 () 140 الهبل: ثكل الولد.
 () 141 خالسها: نظر إليها خلسة. خفضت: سكنت. الغوارب: أعالي الموج. الجاش: رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع. الوهل: الفرع الملحق بالجنون.
 () 142 التلاد: المال الموروث الذي ولد عندك. الجلل: الجليل العظيم القدر.

- 161 - قَهْلُ تَشْتَرِيهَا (143)؟! ..
 - نَعَمْ أَشْتَرِي!
 - لَكَ الْوَيْلُ مِثْلُكَ يَوْمًا بَخْلًا!
 162 - قَدَيْتُكَ!! أَعْطَيْتُ مَا تَشْتَهِيهِ!.. مَا بِي فَقْرٌ وَلَا بِي بَخْلٌ (144)!
- 163 - قَنَادَتُهُ، وَبَحَكَ! هَذَا الْخَبِيثُ! خُذْنِي إِلَيْكَ، وَدَعْ مَا بَدَلُ
 164 - قَبَاسَمَهَا (145) نَظْرَةً...، ثُمَّ رَدَّ إِلَى الشَّيْخِ نَظْرَةً سُخْرِ
 مُطْلًا:
- 165 - بَكُمْ تَشْتَرِيهَا؟!..
 فَصَاحَتْ بِهِ : حَذَارًا! حَذَارًا! دَهَاكَ الْخَبْلُ!!
 166 - لَهُ رَاحَةٌ تَصَحَّتْ (146) مَكْرَهَا عَلَيَّ، فَدَعَ عَنْكَ! لَا
 تُغْتَفَلُ
- 167 - فَقَالَ : إِرَارٌ مِنَ الشَّرْعِيِّ (147) وَأَرْبَعٌ مِنْ سِيرَاءِ
 الْحُلَلِ
- 168 - بُرُودٌ يَضُنُّ بَهَنَ التَّجَارِ (148) إِذَا رَامَهُنَّ مَلِيكٌ أَجَلٌ
 169 - وَمِنْ أَرْضٍ قَيْصَرَ : حُمْرُ تَمَانٍ جَلَاها (149) الْهَرَقْلِيُّ،
 مِثْلُ الشَّعْلِ
- 170 - تَمَانٌ تُضِيءُ عَلَيْكَ الدُّجَى! إِذَا عَمِيَ النَّجْمُ، نَعَمْ الْبَدَلُ
 171 - وَبُرْدَانٍ مِنْ تَسْجٍ خَالٍ (150)، أَشْفَ وَأَنْعَمُ مِنْ خَدٍّ
 عَذْرَاءَ... بَلْ
- 172 - إِذَا بُسِطَا تَحْتَ شَمْسِ النَّهَارِ، فَالْشَّمْسُ تَحْتَهُمَا...
 لَيْسَ ظِلٌّ
- 173 - وَتَسْعُونَ مِثْلُ عُيُونِ الْجَرَادِ...، بَرَّاقَةٌ كَغَدِيرٍ (151)
 الْوَشْلُ
- 174 - كَمِرَاةٍ حَسَنَاءَ مَفْتُونَةٍ، كَرَأْسِ سِنَانٍ حَدِيثٍ صُقِلَ

() 143 تشتريها: تبيعها.
 () 144 البخل (بفتحتين)، هو البخل.
 () 145 باسمها: نظر إليها نظرة سخر مبتسم.
 () 146 نصحت: فضت مكرها كالعرق، دع عنك: احذر، تغتفل: تؤخذ من غفلتك.
 () 147 الشرعبي: ثياب جياذ سابغة. السيراء: برد فيه سيور يخالطها الحرير.
 () 148 التجار (جمع تاجر).
 () 149 جلاها: صقلها. الهرقلي: الرومي، نسبة إلى هرقل الملك.
 () 150 خال: مكان تضع فيه البرود الجيدة.
 () 151 الغدير: مكان يغادر السيل فيه بعض الماء. والوشل: الماء يتحلب من جبل أو صخرة، يقطر قليلا قليلا، لا يتصل قطره.

- 175 - أَجَلٌ...!! وَأَدِيمُ ⁽¹⁵²⁾ كَمِثْلِ الْحَرِيرِ، يُطَوَى وَيُرْسَلُ مِثْلَ
الْخَصْلِ
- 176 - وَحَوْلَهُمَا زَفَرَاتُ الزَّحَامِ، وَأَذُنٌ تَمِيلُ، وَرَأْسٌ يُطَلُّ
- 177 - وَغَمْغَمَةٌ ⁽¹⁵³⁾، وَحَدِيثٌ خَفِيٌّ وَنَغِيَّةٌ زَارٍ، وَأَتٍ سَالٍ
- 178 - وَغَاشِقَةٌ فِي إِسَارٍ ⁽¹⁵⁴⁾ السَّوَامِ! وَغَاشِقُهَا فِي
الشَّرَاكِ أَحْتَبِلُ
- 179 - تُتَادِيهِ مَلْهُوْفَةٌ تَسْتَغِيثُ، صَائِعَةٌ الصَّوْتِ...، عَنْهَا شُغْلُ
- فَظَلَّ يُتَاجِي نَفْسَهُ وَأَمِيرَهَا *** أَيَاتِي الَّذِي يُعْطَى بِهَا
أَمْ يُجَاوِزُ
- فَقَالُوا لَهُ : بَايَعُ أَخَاكَ.. وَلَا يَكُنْ *** لَكَ الْيَوْمَ عَن رِبْحٍ
مِنَ الْبَيْعِ لَاهِرُ
- 180 - [أَعُوذُ بِرَبِّي وَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ!.. مَاذَا يَقُولُ
الرَّجُلُ؟!]
- 181 - أَجُنَّ؟! نَعَمْ.. لَا!.. أَرَى سُورَةً ⁽¹⁵⁵⁾ مِنْ الْعَقْلِ،
لَاخِلْجَاتِ الْخَبْلِ!
- 182 - وَعَيْتِي صَفَاءٌ كَمَاءِ الْقَلَاتِ ⁽¹⁵⁶⁾، وَعِزِّي أَنْفِ سَمَاءٍ
وَاعْتَدَلُ
- 183 - وَجَبْهَةٌ زَاكٍ ⁽¹⁵⁷⁾، تَمَاهُ النَّعِيمِ فِي سُودِدٍ وَسَرَاءٍ تَبْلُ
- 184 - أَيُعْطَى بِهَا الْمَالُ؟! هَذَا الْخَبَالُ! قَوْسٌ وَمَالٌ كَهَذَا؟
تُكِلُ!!
- 185 - وَيَارَبَّ! يَارَبَّ! مَاذَا أَقُولُ؟.. أَقُولُ نَعَمْ!.. لَا فَهَذَا
حَظْلُ
- 186 - أبيعُ!! وَكَيْفَ!.. لَقَدْ كَادَنِي ⁽¹⁵⁸⁾ بِعَقْلِي هَذَا الْخَبِيثُ

152 () الأديم: الجلد المدبوغ اللين. الخصل (جمع خصلة): وهي لفيفة من الشعر المجتمع.

153 () غمغمة: الكلام الذي لا يتبينه السامع، والنغية: كلمة ذات نغمة. الزاري: العائب المظهر للاحتقار.

154 () الإسار: الأسر. والسوام: المساومة في البيع. والشراك (جمع شرك): وهو حباله الصائد يرتبك فيها الصيد. احتبل: وقع في حباله الصائد.

155 () السورة المنزلة الرفيعة المشرفة الظاهرة. خلجات الخبل: ما يجذب المخبول من الاضطراب، فتتفكك أوصاله، ويتمايل يمنة ويسرة.

156 () القلات (جمع قلت، بسكون اللام): نقرة في الجبل يقطر فيها ماء واشل من سقف أو كهف، وهو أصفى ماء. والعرينين: الأنف تحت مجتمع الحاجبين، حيث يكون الشمم، وهو دليل على كرم الأصل.

157 () الزاكي: النابت في نعمة وخصب وكرم، والسراء: المروءة والسخاء والشرف.

158 () كاده بعقله: احتال عليه وغلب عقله. المحل: الشديد المكر والدهاء.

- المحل 187 - أَقَارِفُهَا! وَيْكَ ⁽¹⁵⁹⁾!! هَذَا السَّفَاهُ! قَوْسِي! كَلَا! حَدِّينِي
وَحِلَّ!!
- 188 - أَجَلْ!! بَلْ هُوَ الْبُؤْسُ بَادٍ عَلَيَّ! فَأَعْرَاهُ بِي! وَيَحَهُ! مَا
أَصْلُ!!
- 189 - يُسَاوِمُنِي الْمَالُ عَنْهَا؟! نَعَمْ!.. إِذَا لَيْسَ الْبُؤْسُ حُرًّا
أَدَلْ
- 190 - إِذَا مَا مَشَى تَزْدَرِيهِ الْعُيُونُ، وَإِنْ قَالَ رُدَّ كَأَنْ لَمْ يَقُلْ
- 191 - نَعَمْ! إِنَّهُ الْبُؤْسُ!! أَيْنَ الْمَقَرُّ مِنْ بَشَرٍ كَذِئَابِ
الْجَبَلِ؟!
- 192 - تَعَالَبُ تُكْرُ ⁽¹⁶⁰⁾ تُحِيدُ التَّفَاقَ حَيْثُ تَرَى فُرْصَةً تُهْتَبَلُ
- 193 - كَلَابٌ مُعَوَّدَةٌ لِلْهَوَانِ تُبْصِصُ بَيْنَ يَدَيَّ مَنْ بَذَلْ
- 194 - قَوِيحِي مِنَ الْبُؤْسِ!.. وَيْلُ لَهُمْ!! أَرَى الْمَالَ نُبْلًا
يُعْلِي السَّفَلَ ⁽¹⁶¹⁾
- 195 - فَخُذْ مَا أَتَيْتَ بِهِ...!! إِنَّهُ مَلِيكَ يُخَافُ، وَرَبُّ يُجَلُّ
- 196 - وَسُبْحَانَ رَبِّي! يَدِي! مَا يَدِي؟! بَرَيْتُ الْقِسِيَّ بِهَا لَمْ
أَمَلْ!
- 197 - حَبَانِي ⁽¹⁶²⁾ بِهِ فَاطِرُ النِّيَرَاتِ وَبَارِي النَّبَاتِ وَمُزْسِي
الْجَبَلِ!
- 198 - وَأَوْدَعَهَا سِرَّهَا عَالِمَ حَبِيرٍ بِمَكْنُونِهَا لَمْ يَزَلْ!
- 199 - وَفِي الْمَالِ عَوْنٌ عَلَى مِثْلِهَا! وَفِي الْبُؤْسِ هَوْنٌ ⁽¹⁶³⁾،
وَدُلٌّ، وَقُلٌّ!]
- 200 - تَتَادَوَا بِهِ : أَنْتَ؟! مَاذَا دَهَاكَ؟! مَالِكَ يَا شَيْخُ؟! قُلْ يَا
رَجُلْ!
- 201 - وَآتٍ يُصِيحُ، وَكَفُّ تُشِيرُ، وَصَوْتُ أَجَشُّ ⁽¹⁶⁴⁾، وَصَوْتُ
يَصِلُ!

¹⁵⁹ () ويك: مثل، ويلك، تعجب وتهديد، السفاه: السفه والطيش. الخدين:

الصديق المصاحب. والخل: الصديق المتداخل المودة.

¹⁶⁰ () النكر: الدهاء المنكر الخبيث: اهتبل الفرصة: اغتتمها وافترصها على غفلة.

¹⁶¹ () السفل (جمع سفلة): وهم أراذل الناس وسقاطهم.

¹⁶² () حباه: أعطاه فأكرمه. فاطر النيرات: المبتدئ خلق الكواكب المنيرة. وباري النبات: خالقه.

¹⁶³ () الهون: الهوان والخزي. والقل: القلة والنقص.

¹⁶⁴ () أجش: فيه جشة أي: غلط وبعة. صل الصوت: إذا خالطته حدة كأنها صوت حديد على الصفا. اختبل: أخذه الخبل، كالمجنون المضطرب.

- 202 - وَطَلَبْتُ مَسَامِعُهُ طَلَّةً... وَرَاغَتْ تَوَاطُرُهُ وَاخْتَبِلُ
- 203 - .. وَأَفْضَى إِلَيْهِ كَهْمُسِ الْمَرِيضِ أَشْفَى (165) عَلَى الْمَوْتِ مَا يَسْتَقِلُّ..
- 204 - تُنَادِيهِ: وَيَحَكَ! وَيَحِي!! هَلَكْتُ!! أَتُوكَ بَقَاصِمَةً! وَآتَكَلُّ!
- 205 - تَلَفْتُ يَضْغِي... وَمِثْلُ اللَّهْيَبِ صَوْصَاءُ وَعُوعَةٍ (166) فِي رَجُلٍ
- 206 - فَهَذَا يُؤُجُّ (167) ... وَهَذَا يَعُجُّ... وَهَذَا يَخُورُ... وَهَذَا صَهْلٌ!
- 207 - وَدَانِ يُسِرُّ... وَدَاعِ يَحْتُ... وَكَفُّ تُرَبُّ: يَغُ يَا رَجُلُ!
- 208 - لَقَدْ بَاعَ! بَاعَ! لَا لَمْ يَبِعْ! غِنَى الْمَالِ! وَيَحَكَ! يَغُ يَا رَجُلُ!
- 209 - [وَحْشَرَجُهُ (168) الْمَوْتِ: حُدْنِي.. إِلَيْكَ!! - لَبَيْكَ!! لَبَيْكَ!] يَغُ يَا رَجُلُ!!
- 210 - [أَغْنِنِي!. أَجَلُ!] بَاعَ! مَاذَا؟! أَبَاعَ؟! نَعَمْ بَاعَ قَدْ بَاعَ! حَقًّا فَعَلَ؟!
- 211 - [أَغْنِنِي! أَغْنِنِي! نَعَمْ!] قَدْ رَبَخْتُ!!.. بُورِكَ مَالُكَ! أَيْنَ الرَّجُلُ؟!
- 112 - مَصَى!.. أَيْنَ!.. لَا، لَيْسَتْ أَذْرِي!.. مَتَى؟ لَقَدْ بَعْتُ؟!.. كَلَّا وَكَلَّا.. أَجَلُ!
- 213 - لَقَدْ بَعْتُ! قَدْ بَعْتُ! كَلَّا! كَذَبْتُ! لَقَدْ بَعْتُ! قَدْ بَاعَ! وَيَحِي! أَجَلُ!
- 214 - لَقَدْ بَعْتُهَا.. بَعْتُهَا.. جُزِئْتُمْ بِخَيْرِ جَرَاءٍ، أَجَلُ!!..
- 215 - أَجَلُ بَعْتُهَا.. بَعْتُهَا.. أَجَلُ بَعْتُهَا!! لَا، أَجَلُ لَا، أَجَلُ

(165) أَشْفَى: أَشْرَفَ، يَسْتَقِلُّ: يَنْهَضُ.

(166) وعوعة: صوت مختلط كوعوعة الكلاب، والرجل: الجلبة كأصوات اللاعبين.

(167) يؤج: يصوت بكلام مرتفع سريع. ويعج: يصيح صياحاً عالياً كالهدير. ويخور: يصيح بصوت غليظ كخوار الثور. وصهل: أخرج صوتاً مبحوحاً كصهيل الخيل.

(168) الحشرجة: غرغرة الميت، وتردد نفسه.

- فَلَمَّا شَرَاهَا قَاصَّتِ الْعَيْنُ عَبْرَةً،
 وَفِي الصِّدْرِ حَرَارٌ مِّنَ الْوَجْدِ حَامِزٌ
 216 - [أَجَلٌ.. لَا أَجَلَ يَغُثُّهَا! يَغُثُّهَا!.. أَجَلٌ بَعَثَهَا! يَغُثُّهَا!.. لَا أَجَلٌ
 217 - وَقَاصَّتِ دُمُوعُ كَمِيلِ الْحَمِيمِ ⁽¹⁶⁹⁾، لَدَّاعَةٌ، تَأْرَهَا
 تَسْتَهْلُ
 118 - بُكَاءٌ مِّنَ الْجَمْرِ جَمْرِ الْقُلُوبِ، أَرْسَلَهَا لَاعِجٌ ⁽¹⁷⁰⁾ مِّنْ
 حَبَلٍ
 219 - وَغَامَتْ يَعْيِيَّتُهُ، وَأَسْتَنْزَفَتْ دَمَ الْقَلْبِ يَهْطِلُ فِيمَا
 هَطَلْ
 220 - وَجَانِقَةٌ دَبَحَتْ صَوْتَهُ، وَهَيْضَ ⁽¹⁷¹⁾ اللِّسَانِ لَهَا وَاعْتَقِلْ
 221 - وَأَغْصَى عَلَى ذَلَّةٍ مُّطَرِّقًا، عَلَيْهِ مِّنَ الْهَمِّ مِثْلُ الْجَبَلِ
 222 - أَقَامَ..، وَمَا إِنَّ بِهِ مِّنْ حَرَاكِ، تَحَاذَلُ ⁽¹⁷²⁾ أَعْصَاؤُهُ
 كَالَأَشْلُ
 223 - وَفِي أُذُنَيْهِ صَجِيجُ الرَّحَامِ، وَ«بَغْ بَاعَ، بَغْ بَاعَ، بَغْ يَا
 رَجُلٌ»!
 224 - وَأَخْلَدَ فِي حَيْثُ طَارَ السَّوَامُ ⁽¹⁷³⁾ بِمُهْجَتِهِ، كَأُرُومٍ
 مَثَلُ
 225 - كَأَنَّ صَخْرَةً تَبَتَّتْ، حَيْثُ قَامَ، تِمَثَالُ حُزْنٍ صَلُودٍ ⁽¹⁷⁴⁾
 عُثْلُ
 226 - وَمِنْ حَوْلِهِ النَّاسُ مِثْلُ الدَّبْيِ ⁽¹⁷⁵⁾ عِجَالًا تَنْزَى،
 دَهَاھُنَّ طَلُ
 227 - فَمِنْ قَائِلٍ : قَارَا! رَدَّتْ عَلَيْهِ قَائِلَةٌ : لَيْتَهُ مَا فَعَلَ!
 228 - وَمِنْ هَامِسٍ: وَيَحَهُ مَادَهَاهُ! وَمِنْ مُنْكَرٍ: كَيْفَ يَبْكِي
 الرَّجُلُ!
 229 - وَمِنْ صَاحِكٍ كَرَّكَرَتْ ⁽¹⁷⁶⁾ صَحْكُهُ لَهُ مِنْ مَرْوَحٍ خَبِثٍ

169 () الحميم: الماء الحار. تستهل: تنصب.
 170 () لاعج: محرق. الخبل: اضطراب الجنون.
 171 () هيص: انكسر وتدلّى. واعتقل: حبس ومنع الكلام.
 172 () تحاذل: تتخاذل، يخذل بعضها بعضاً.
 173 () السوام: المساومة في البيع، والأروم: أصل الشجرة إذا ماتت وسقطت أغصانها. مثل: انتصب.
 174 () صلود: صلب أملس. عتل: غليظ ثقيل ثابت.
 175 () الدبى: الجراد قبل أن يطير، تنزى: تثب وتنقر. دهاه: غشيه وأصابه، والطل: المطر الخفيف.
 176 () كركر الضاحك: ردد الضحك.

- هَزَلُ 230 - وَمِنْ سَاخِرٍ قَالَ : يَا آ كِلَا! تَلَبَّسَ فِي سَمْتٍ (177) مِنْ قَدْ أَكِلْ!
- 231 - وَمِنْ بَاسِطٍ كَفَّهُ كَالْمُعَزِّي وَهَيْنَمَةٍ (178) غَمَعَت لَمْ تُقَلِّ
- 232 - وَمِنْ مَشْفِقٍ سَاقٍ إِشْفَاقَهُ وَوَلَّى، وَمُلْتَفِتٍ لَمْ يُوَلِّ
- 233 - وَسَالَتْ جُمُوعُهُمْ فِي الرَّمَالِ.. وَمَاتَ الْوَعَى (179) ..
- 234 - وَأَسْفَرَ (180) وَأَنْجَابَ دَاجِي السَّوَادِ عَنْ مُخْبِتٍ خَاشِعٍ كَالْمُصَلِّ
- 235 - وَظَلَّ طَوِيلًا.. لَهُ سَبْتَةٌ (181) وَإِطْرَاقَةٌ، وَأَسَى يَنْهَمِلُ
- 236 - أَفَاقٌ وَقِيدًا (182)، بَطِيءٌ الْإِفَاقَةِ.. يَرْفَعُ مِنْ رَأْسِهِ كَالْمُطَلِّ
- 237 - وَقَلَّبَ عَيْنِيهِ: مَاذَا يَرَى؟ وَأَيْنَ الزَّحَامُ؟ وَأَيْنَ الرَّجُلُ!
- 238 - رَأَى الْأَرْضَ تَمْشِي بِهِمْ كَالْخَيَالِ، أَشْبَاهُهُمْ حُشْبٌ تَسْتَقِلُّ
- 239 - وَهَامٌ (183) مُحَلَّقَةٌ رُجْفٌ، وَأُخْرَى يَدَتْ كَنَزِيعِ الْبَصَلِ
- 240 - وَأَغْرِبَةٌ (184): بَعْضُهَا جَائِمٌ يُحَرِّكُ رَأْسًا، وَبَعْضٌ حَجَلٌ
- 241 - وَحَيَاتٌ وَادٍ، لِشَمْسٍ الصُّحَى ثُلُوي حَيَازِيمَهَا (185)
- وَالْقَلُّ 242 - وَأَرْقَلَةٌ (186) مِنْ ضِبَاعِ الْفَلَاةِ تَخْمَعُ مِنْ حَوْلِ قَتْلَى هَمَلٌ

-
- () السمت: الهيئة. 177
- () هينمة: الكلام الخفي كالندبة. غمعت: اختلطت ولم تتبين. 178
- () الوعي: الصوت المتداخل كأصوات النحل المجتمع. يصل: يكون له صوت كأصوات أجواف الخيل إذا عطشت. 179
- () أسفر: أشرق. انجاب: انكشف. المخبت: الخاشع المتضائل. 180
- () سبته: سكون وإطراق بلا حراك. 181
- () الوقيد: المريض الدنف المشفي على الهلاك. 182
- () هام محلقة: رؤوس مخلوقة. رجب (جمع راجف): ترتجف وتضطرب. 183
- نزع البصل: المنزوع بجذوره.
- () أغربة (جمع غراب). 184
- () الحيازيم (جمع حيزوم): وهو ما اكتنف الحلقوم والقلل: الرؤوس، والحية تفعل ذلك وهي تتشمس. 185
- () أرفلة: الجماعة تأتي مسرعة. والضباع: من لثام الحيوان. تخمع: تعرج. 186
- همل: مهملة ملقاء.

- 243 - وَهَنَّا وَهَنًا ضَبَابٌ ⁽¹⁸⁷⁾ مَرَقْنِ مِنْ كُلِّ جُحْرٍ لَسَيْلٍ حَقْلٍ
 244 - وَتَوْبٌ يَطِيرُ بِلَا لَابِسٍ، يَمِيلُ مَعَ الرِّيحِ أَنَّى تَمِيلُ
 245 - تَمَطَّى بِهِ الْبَعْثُ مِنْ نَعْسَةٍ، وَمِنْ سِنَةِ كَفْتُورِ الْكَسَلِ
 246 - وَدَبَّيْتُ إِلَيْهِ بَقَايَا الْحَيَاةِ، فَرَفَعَ أَعْطَافَهُ ⁽¹⁸⁸⁾ وَاعْتَدَلَ
 247 - وَظَلَّ يُتَارَعُ كَبَلٌ ⁽¹⁸⁹⁾ الذُّهُولِ وَيَحْتَلِجُ النَّفْسَ مِنْ أَسْرِ
 غُلٍّ
 248 - كَنَاشِطٍ ⁽¹⁹⁰⁾ ثَقُلِي طَوِيلِ الرَّشَاءِ مِنْ هُوَةٍ فِي حَضِيضِ
 الْجَبَلِ
 249 - رُؤَيْدَا رُؤَيْدَا فَتَابَتْ لَهُ مُلْجَلَجَةٌ ⁽¹⁹¹⁾ يَغْتَرِيهَا هَلَلٌ
 250 - وَمِثْلُ الْحَمَامَةِ بَيْنَ الصُّلُوعِ قَدْ انْتَفَضَتْ مِنْ عَوَاشِي
 بَلَلٍ
 251 - يُقَلِّبُ حُمُجَمَةً، خَالَهَا كَجُلُمُودٍ صَخَرٍ رَكِينٍ ⁽¹⁹²⁾ حَمَلٌ
 252 - فَلَايَا بِلَايٍ ⁽¹⁹³⁾ وَآبَتْ لَهُ مُبَعَثَرَةٌ مِنْ أَقَاصِي الْعِلَلِ
 253 - وَنَفْسَ عَنْ صَدْرِهِ زَفَرَةً، وَخَامَرَهُ ⁽¹⁹⁴⁾ الْبُرْءُ حَتَّى أَبْلُ
 254 - أَحَسَّ بِكَالْجَمْرِ فِي رَاحَتَيْهِ: سَعِيرٌ تَوَقَّدَ!! مَادَا
 احْتَمَلَ؟
 255 - وَيَبْسُطُ كَفْيِهِ: مَادَا أَرَى جَوَابٌ حَثِيثٌ وَلَوْ لَمْ يَسَلْ!!
 256 - عُيُونٌ تُحْمَلِقُ فِي وَجْهِهِ، مِنْ الْخُبِّ تَزْهَرُ ⁽¹⁹⁵⁾ أَوْ
 تَأْكُلُ!!
 257 - [أَجَلٌ بِعُثْهَا! بِعُثْهَا بِعُثْهَا!.. بَقَاءٌ قَلِيلٌ وَدُئِيَا دُؤُولٌ!]
 258 - وَالْقَى الْغَنَى لِلثَّرَى! وَاتَّحَى ⁽¹⁹⁶⁾ وَنَفَضَ كَفْيِهِ:
 [حَسْبِي! أَجَلٌ]
 259 - وَالْقَى إِلَى عَالِيَاتِ السَّيَابِ وَالْبَرِّ نَظْرَةً لَا مُحْتَفِلٌ!
 260 - وَوَلَّى كُنْبِيًّا ذَلِيلَ الْخُطَا، بَعِيدَ الْأَنَاءِ، خَفِيَ الْغُلُّ ⁽¹⁹⁷⁾!
 261 - وَأَوْغَلَ فِي مُضْمَرَاتٍ ⁽¹⁹⁸⁾ الْغُيُوبِ يَطْوِي الْبَلَابِلَ طَيًّا

- () 187 الضباب تخرج من جحورها إذا دهمها السيل.
 () 188 الأعطاف (جمع عطف): وهو الجانب، من الرأس إلى الورك.
 () 189 الكبل: القيد الضخم الثقيل. والغل: القيد الذي يجمع الأيدي إلى الأعناق.
 () 190 الناشط: الجاذب الدلو من البئر. والرشاء: حبل الدلو الطويل.
 () 191 ملجلجة: مترددة ثقيلة لاتكاد تخرج أو تدخل: هلل: فرع وفرق ونكوص.
 () 192 ركين: عالي الأركان ثقيل.
 () 193 لايًا بلأي: بعد مشقة وجهه وإبطاء واحتباس.
 () 194 خامره: غشي نفسه. أبل: برأ من مرضه وأفاق.
 () 195 تزهرو: تتلألأ. تأكل: تتوهج كالنار إذا اشتد لهبها، وأكل بعضها بعضها.
 () 196 انتحى: اعتزل ناحية.
 () 197 الغلل (جمع غلة): وهي حرارة الحزن.
 () 198 المضممرات: البعيدة التي يخفى مكانها، والغيوب (جمع غيب): هو الأرض

السَّجَلُ

- 262 - أَرَادَ لِيَنْسَى وَيَبِينَ الصُّلُوعَ نَوَافِذَ مَنْ ذَكَرَ تَنْتَضِلُ
663 - فَأَحْيَتْ صَبَابَتَهُ، وَالْحِرَاحَ دِمَاءً مُفَرَّغَةً لَمْ تَسِيلُ
264 - ثَرِيهِ الرُّؤْيَى وَهُوَ حَيُّ النَّهَارِ، وَتَسْرِي بِهِ وَهُوَ لَمْ يَنْتَقِلْ
266 - وَيَبْسُطُ كَفَّيْهِ مُسْتَعْرِقًا، فَتَحْسَبُهُ قَارِنًا قَدْ ذَهَلَ
267 - يَرَى نِعْمَةً لَيْسَتْ نِعْمَةً، وَنُورًا تَدَجَّى⁽¹⁹⁹⁾، وَسِحْرًا
بَطَلَ
268 - وَآيَتُهُ⁽²⁰⁰⁾ عَاتٍ فِيهَا الشُّحُوبُ فَأَنْكَرَ مِنْ لَوْنِهَا مَا
تَصَلُ
269 - وَأَسْرَارَهَا⁽²⁰¹⁾ فَصَّهَا طَائِفَ لَهُ سَطُوءَ وَأَذَى حَيْثُ
حَلَّ
270 - وَسَحَقَ⁽²⁰²⁾ غِشَاءً عَلَى أَعْظَمُ، تَهْتَكُ مِثْلَ الْأَيْمِ
النَّغْلُ
271 - وَمَسَتْ أَنَامِلُهُ رَجْفَةً، تَسَاقِطَ عَنْهَا سَنَاهَا⁽²⁰³⁾ وَزَلَّ
272 - وَأَفْصَى بِنَظَرَتِهِ تَافِذًا إِلَى غَيْبٍ مَاضٍ بِهَيْمٍ⁽²⁰⁴⁾
السُّبُلُ
273 - تَلَاوُذُ⁽²⁰⁵⁾ أَشْبَاحُهُ، كَالذَّلِيلِ، يُلْغِزُ تَخِيلَ، وَدَاجِي دَغْلُ
274 - وَأَبْشُودَةً خَطَفَتْ فِي الظَّلَامِ هَارِبَةً مِنْ صَيُودٍ خَتَلُ
275 - وَطَيْرًا مُرَوَّعَةً أَجْفَلَتْ، وَأَمِنْ طَيْرٍ وَدِيعٍ هَدَلُ⁽²⁰⁶⁾
276 - وَشَفَّتْ لَهُ السُّدَفُ⁽²⁰⁷⁾ الْعَاشِيَاتِ حَسَنَاءَ ضَالٍ عَلَيْهَا
الْحُلَلُ

المطمئنة، التي يغيب فيها سالكها، والبلابل: قلقات الهموم. والسجل: الكتاب أو الصك الذي يطوى. نوافذ: ماضيات، كالسهام تنفذ في النفس. تفتضل: تتراعى وتختصم.

199

() تدجى: لبسه الظلام.

200

() الآية: العلامة العجيبة، وهي يده. نصل: طفىء لونها وذهب.

201

() أسرار الكف: خطوطها التي تدل على المغيب من أسرارها.

202

() السحق: البالي المنسحق. تهتك: تخرق وتساقط. الأديم: الجلد المدبوغ.

النغل: الذي فسد دباغه فتفتت وترفت.

203

() السنا: الضوء العالي.

204

() بهيم: مظلّم لا ضوء فيه، ولا منفذ لبصر.

205

() تلاوذ: تدور كأنها تطلب ماتلوذ به. اللغز: الطريق الملتوي المشكل يضل

سالكه. الداجي: الساتر الذي يلبس ما فيه ويستتره. والدغل: الشجر الملتف

المشتبك النبات. أسودة (جمع سواد): وهو شخص الشيء، لأنه يرى من بعيد

أسود. خطفت: تسرع كالشعاع الخاطف.

206

() هدل: غنى غناء الحمام.

207

() السدف: (جمع سدفة): ظلمة مختلطة بضوء يشوبها. الضال: السدر

ينبت في السهول. تسوى من قضبانته السهام.

277 - أَصَيَاءُ الظَّلَامِ لَهَا بَغْتَةً، وَقَوَّضَ خَيْمَتَهُ وَأَرْتَحَلَ
 278 - أَطْلَتْ لَهُ مِنْ خِلَالِ الْعُصُوفِ عَذْرَاءَ مَكْنُونَةٍ لَمْ تُنَلِّ
 279 - «رَأَى عَادَةً تُشْشَتْ فِي الظَّلَالِ، ظِلَالُ النَّعِيمِ»، عَلَيْهَا
 الكلل⁽²⁰⁸⁾

280 - عَرُوسٌ تَمَائِلُ مُحْتَالَةً، ثُمِيْتُ بَدَلٍ، وَتُحْيِي بَدَلَ
 281 - وَتَادَتُهُ، فَأَرْتَدَّ مُسْتَوْفِرًا⁽²⁰⁹⁾ بَجُرْحٍ تَلْطَى وَلَمْ يَنْدِمِلْ؛
 282 - أَفِقْ! قَدْ أَفَاقَ بِهَا الْعَاشِقُونَ قَبْلَكَ، بَعْدَ أَسَى قَدْ
 قَتَلَ!

283 - أَفِقْ! يَا خَلِيلِي! أَفِقْ! لَا تَكُنْ خَلِيفَ الْهُمُومِ، صَرِيعَ
 الْعِلَلِ

284 - فَهَذَا الزَّمَانُ، وَهَذِي الْحَيَاةُ، عَلَّمْتَنِيهَا قَدِيمًا: دَوْلُ!!
 285 - أَفِقْ! لَا فَقْدُكَ! مَاذَا دَهَاكَ؟! تَمَتَّعْ! تَمَتَّعْ! بِهَا! لَا
 تَبَلْ!

286 - بِصُنْعِ يَدَيْكَ تَرَانِي لَدَيْكَ، فِي قَدْ أَخْتِي! وَنِعَمَ الْبَدَلُ!
 287 - صَدَقْتَ! صَدَقْتَ! وَأَيْنَ الشَّبَابُ؟ وَأَيْنَ الْوَلُوعُ؟ وَأَيْنَ
 الْأَمَلُ

288 - صَدَقْتَ صَدَقْتَ!!.. نَعَمْ قَدْ صَدَقْتَ! وَسِرِّ يَدَيْكَ كَأَنَّ
 لَمْ يَزَلْ
 289 - حَبَاكَ بِهِ قَاطِرُ النَّيِّرَاتِ، وَبَارِي النَّبَاتِ، وَمَرْسِي
 الْجَبَلِ

290 - فَقُمْ! وَاسْتَهْلَ⁽²¹⁰⁾، وَسَبِّحْ لَهُ! وَلَبَّ لِرَبِّ تَعَالَى وَجَلَّ

.... وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، فَإِلَّا تَكُنْ رَضِيَتْ فَقَدْ أَمْلَلْتُكَ، وَإِذَا أَنَا قَدْ
 أَسَأْتُ مِنْ حَيْثُ أَرَدْتُ الْإِحْسَانَ.. وَلَكِنَّكَ بَعَثْتَ كَوَامِنَ نَفْسِي
 مُنْذُ رَأَيْتُكَ، فَتَوَسَّسْتُ وَجْهَكَ، وَعَرَفْتُ فِيهِ شَيْئًا أَخْطَأْتُهُ فِي
 وَجْهِهِ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ زَمَانِنَا، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْظِكَ وَأَعْظَ نَفْسِي
 بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، إِذْ جَعَلَ بَعْضَهُمْ لِبَعْضٍ قُدُورَةً وَعِبْرَةً،
 وَأَتَاهُمْ مِنْ مَكْنُونِ عِلْمِهِ مَا لَا يُغْفَلُ عَنْهُ إِلَّا هَالِكٌ، وَلَا يُصَيِّعُهُ إِلَّا
 مُسْتَهِينٌ لَا يَبَالِي. وَقَدْ بَلَغْنَا رَسُولَ اللَّهِ عَنْ رَبِّهِ بَلَاغًا يُضِيءُ
 لِكُلِّ حَيٍّ نَهْجَ حَيَاتِهِ، وَيُمِيسِكُ عَلَيْهِ هَدْيَ فِطْرَتِهِ، إِذْ قَالَ: «إِنَّ
 اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُثِقَنَهُ» وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ

208 () الكلل (جمع كلة): وهي الستر الرقيق، كالذي تكون فيه العروس.

209 () المستوفز: هو القاعد إذا استقل على رجليه يتهيأ للقيام، ولما يستوقفا
 بعد.

210 () استهل: رفع صوته بالإلهال والتلبية لله سبحانه.

الإحسانَ على كُلِّ شيءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا دَبَحْتُمْ
فَأَحْسِنُوا الدَّبْحَ، وَلِيُحَدِّثْ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلِيُرِخَ دَبِيحَتَهُ» فَانْظُرْ
إِلَى آيِنِ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْنَا أَنْ نَبْلَغَ فِي إِتْقَانِ مَا تَصْنَعُ، وَإِحْسَانِ مَا
تَعْمَلُ!

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ،
وَالِإِتْقَانَ فِي الْعَمَلِ، وَالْإِحْسَانَ فِيمَا نَأْتِي وَمَا نَذِرُ. وَنَسْأَلُكَ مِنْ
خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ. وَنَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا،
وَلِسَانًا صَادِقًا، وَعَمَلًا صَالِحًا، وَسَدَادًا فِي الْخَيْرِ. وَالسَّلَامُ عَلَى
مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى.

من أخيك..

محمود محمد شاكر

القاهرة: 17 ربيع الآخر سنة 1371هـ

15 يناير سنة 1952م

نشر في مجلة (الأدب الإسلامي) عدد (16) بتاريخ ()
1418هـ)

(لا ريب عندي أن الشعر الحديث قد ضل كثيرا حين لم يهتد إلى "القوس العذراء"، وأن الناقد الحديث قد سار في تلك الطريق المضللة نفسها حين أغفل تلك القصيدة)
د: إحسان عباس .

(من المؤسف أن الشاعر سكت بعد قصيدته اليتيمة " القوس العذراء " ولو شفعتها بأخوات لها لقطع الطريق أمام الكثيرين من شعراء هذا العصر)
جليل العطية .

(قصيدة " القوس العذراء " رؤية جديدة في الإبداع الفني ، تأخذ مكانها في الذروة من الأعمال الرائعة في أدبنا المعاصر، بل في الأدب الإنساني في كل زمان ومكان)
د . محمد مصطفى هدارة .

ماذا يمكن لنا أن نضيف على هذه الرؤى حول قصيدة بهذا الحجم و القدر في نظر كثير من نقاد العصر الحديث، وفي قصيدة تعاقب على دارستها أساتذة متخصصون، بل ويحضر فيها الآن رسالة لنيل درجة الماجستير.
نعم إنها القوس العذراء لشيخ العربية محمود شاكر قصيدة تربو أبياتها على 300 بيت شعري.
وليس سر شهرتها وروعيتها في عدد أبياتها ، أو في عاطفتها الجياشة ، أو شيء من الخصائص اللغوية التي تمتدح بها أشعار العرب وإن كانت لا تخلو من كل ذلك، ولكن سر روعيتها في عبقريتها.

عبقرية هذه القصيدة يكمن في أنها جاءت صوتا وصدى لقصيدة لشاعر قديم هو الشماخ بن ضرار، يصف فيها قوسا قطعها وقومها وسواها وأحبها وظلت رفيقة دربه وعمره، ثم وافى موسم الحج فاضطر لبيعها فباعها.

وجاء الشاعر والعلامة العبقرى محمود شاكر ليفجر القصيدة القديمة ويقرأها قراءة شعرية ويدير حولها قصة مطولة بأبيات من الشعر تصور هذه العلاقة الحميمة بين هذا

الصيد وهذه القوس ، روحان إمتزجتا رصد فيها نبضات المشاعر ونبض القلوب من يوم أن كانت القوس عودا في شجرة في غابة نائية ، إلى أن أضحت في أحضان الصيد غانية جميلة محبوبة، وتتزايد حدة الموقف وتنساب الدموع حين يسام خسفا وهم يسومونها منه في موسم الحج ليشتروها بثمن بخس، ويعيش الصيد فترة من الصراع المر والمتردد والحيرة تصوره القصيدة تصويرا لا مثيل له ..وفي دهشة الموقف تنبس الشفتان ببيع القوس العذراء... ويستيقظ الصيد على أصداء من نغمات المشتريين " بَعْ .. لا تبع ..بع ...لا لا ..بع .." وقد فقد أعز من / ما يملك..

هذه الكلمات التي ندونها هنا لا تفي القصيدة حقها ، وهي عاجزة عن وصف روعتها، ولا نملك هنا في مجلة الساخر إلا أن نقدمها لرواد هذه المجلة تحية حب ووفاء لتواصلهم الكريم ..ورحم الله محمود شاكر شيخ العربية وإمام المحققين .
انتهى.

ومن الدراسات التي أقيمت حولها :

القوس العذراء وقراءة التراث (العالم الفاضل وريث المدرسة الشاكرية الدكتور محمد محمد أبوموسى -حفظه الله -) وهو كتاب رائع كسائر كتبه ، وأنا أنصح كل مسلم بقراءة مقدمات كتب هذا العلم -بارك الله في علمه وجهده- ، وكتبه من مطبوعات مكتبة وهبة بالقاهرة (القوس العذراء (د.إحسان عباس-رحمه الله-) القوس العذراء رؤية في الإبداع الفني (الدكتور محمد مصطفى هدارة)